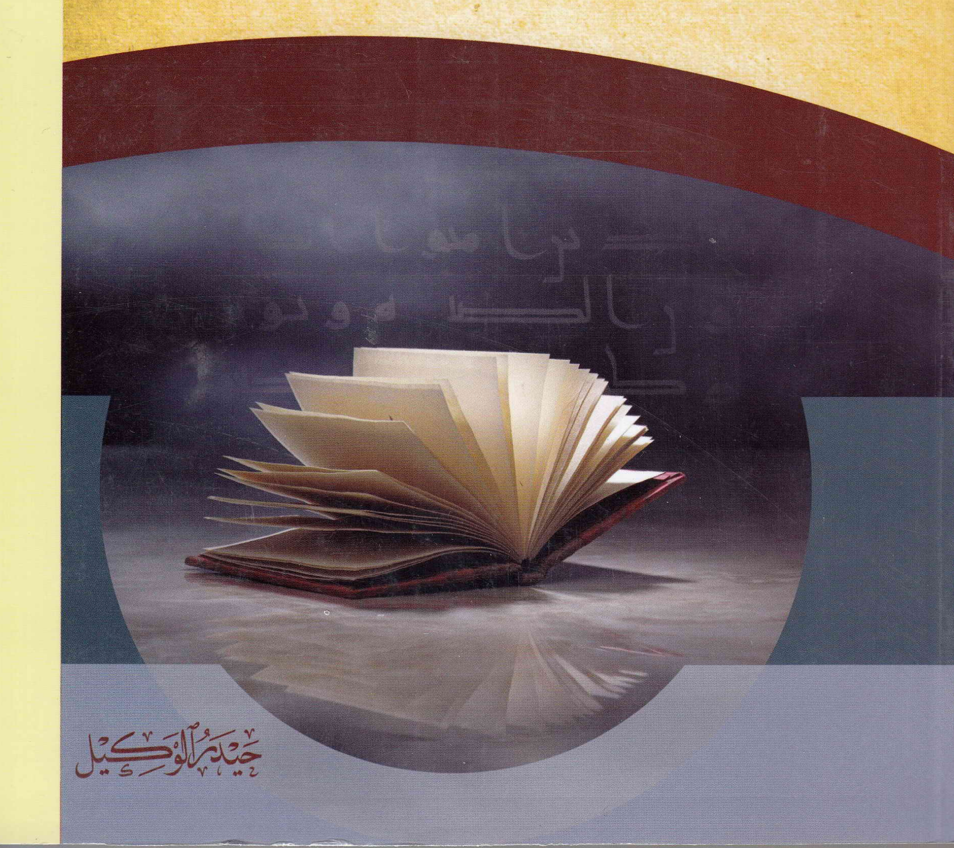
علم الكلام الشيعي

أدواره ومناهجه وسبل الارتقاء به



حيدر الوكيل

علم الكلام الشيعي

علم الكلام الشيعي

ادواره ومناهجه وسبل الارتقاء به



حيدر الوكيل

المختصات	الوكيل، حيدر، ١٩٧١ م -
العنوان و المؤلف :	علم الكلام الشيعي (ادواره و مناهجه و سبل الارتقاء به) / حيدر الوكيل.
الناشر	قم، باقيات، ١٤٣٥ ق = ٢٠١٤ م
عدد الصفحات	١٧٦ ص
الايداع الدولي	ISBN 978 - 600 - 213 - 120 - 1
الموضوع	الكلام - التاريخ
الموضوع	علم الكلام - الشيعة الامامية
التسلسل الرقمي :	١٣٩٢ ٨ع ٨و / ٢٠٣ BP
التسلسل الديوِيي :	٢٩٧/٤١
رقم المكتبة الوطنية :	٣٣٠٩٥٥١



علم الكلام الشيعي (ادواره و مناهجه و سبل الارتقاء به)

حيدر الوكيل

▣ **الناشر: باقيات**

▣ **المطبعة: وفا**

▣ **الطبعة: الاولى ـ ١٤٣٥ هـ. ق**

▣ **العدد: ١٠٠٠ نسخة**

▣ **رقم الايداع الدولي: ١ ـ ١٢٠ ـ ٢١٣ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨**

باقيات (للطباعة و النشر)، ايران، قم، شارع معلم، زقاق ١٥، هاتف: ٣٧٧٤٣٩٠٠ (٠٢٥) ـ جوال: ٠٩١٢ ٢٥٢ ٥١٢٥

Email: Vafaprint110@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين الى قيام يوم الدين.

مقدمة

ينطوي تكوين الانسان على استعدادت مختلفة منها الغرائزية التي تتفتح بطبعها وفق حاجة الانسان للبقاء، ومنها ما تحتاج الى التعلم كالحرف والصنائع، ومن غرائز الانسان المهمة هي غريزة التدين التي تُعزى اليها الاديان والاعتقادات الاخرى غير الدينية، فتلك الغريزة هي المنتج للاعتقادات في ظرف انفصال الانسان عن رعاية السماء، ومن هنا تنشأ اهمية البحث في العقيدة، وقد تكفل بذلك في الاطار الاسلامي ما عرف بـ «علم الكلام»، وقد اخذ رجال العلم والبحث في الحوزات العلمية الشيعية بقسط وافر في هذا المجال، و لما وجهت ركاب اشتغالي ـ كطالب في الحوزة العلمية في النجف الاشرف ـ نحو مدين المعارف الاعتقادية وجدت انها توفرت على جهود كبيرة، تذكر فتشكر، ولكنها شيبت بالكثير من الارباكات

العلمية بما تغير فيها من مناهج بحثية عبر الادوار المختلفة، وقد كتبتُ في محاولة سابقة «اطلالة على علم الكلام» حاولت فيها ان اضع خطوطا عريضة لمناهج علم الكلام توصيفا لما هو موجود حسب ما توصلت اليه متابعتي انذاك، واليوم اجد من الضروري ان نتوسع في بيان التوجهات الكلامية عند الشيعة الامامية وذلك للاهمية البالغة للمنهج وتاثيره في بيان مفاصل الاعتقادات والدفاع عنها، حيث نجد اليوم ان ما هو شبهة امام الحق صار بيانا له! وما هو الحق صار يُبَيّن كأنه شبهة! فالتبس الحق بالباطل في ظرف نحن احوج ما نكون فيه الى وضوح الرؤية العقائدية حيث الانفتاح العالمي الهائل على التشيع وانتشاره في اقطار الدنيا بشكل لا يمكن التوقف معه في اهمية البحث العقائدي، هذا من جهة، ومن جهة اخرى توفر توجهات مختلفة من داخل الشيعة ومن خارجهم لبث الشبهات وبيان ما ليس من العقيدة الاسلامية بل ما يهدم اسس الاسلام والتشيع، ومن هنا تتضح اهمية البحث المنهجي وانه لا يقل خطورة ولا ضرورة عن البحث في مفردات العقيدة الاسلامية والمعارف الايمانية.

وقد يحلو للبعض ان يهون الخطب بالنسبة للبحث العقائدي بشُبه مختلفة، منها: وضوح المفاصل الاساسية للعقيدة عند عامة الناس وان البحث في مثل وحدة الوجود او تعدد القراآت او غيرها لا يُغير من عقيدة الناس شيئا.

او لان البحث العقائدي لا اهمية له اذ تنحصر فائدته في الباحث، او عند رد شبهة ما عن العقيدة، وبطبيعة الحال فان الشبهة تمتلك اهميتها من سعة انتشارها فيتقلص البحث العقائدي بملاحظة مثل هذه الامور.

او بان الحوزات العلمية هي للفقهاء لا للمتكلمين ويبقى الجهد الكلامي جهدا محترما لكن في اطاره الخاص لا مثل الجهد الفقهي الذي تترتب عليه امتدادات كبيرة داخل المؤسسة العلمية والشارع الاسلامي.

او بان هناك من تكفل بهذا المجال فالاحرى بنا ان لا نهمل مجالنا الاساسي وهو الفقه.

الى غير هذا وذاك من مسوغات الابتعاد عن البحث الكلامي المتخصص.

ونجيب بـ: اولا: ان وضوح العقيدة عند غير المتخصص لا يفي بحمايتها عند المتخصصين اذا ما توفرت اجواء انحرافية لا سيما واننا نجد على ارض الواقع اخطاءا اعتقادية تسربت عبر القرون لتقف اليوم بما تمتلكه من تاريخ امام صيحات الاصلاح والتصحيح، ثم ان هذا الفارق بين المتخصص وغيره يؤسس الى كارثة عقائدية لا نود الافاضة فيها الان وقد تتضح معالمها بعد الدخول في فصول هذه الدراسة.

ثانيا: ان البحث العلمي الناضج هو المعيار في استمرار الفكر والا ستنقلب المفردة العقائدية الى مقولات عارية عن الدليل، ووجود الباحث العقائدي «المتكلم» ضرورة يحتمها استمرار الفكر الاسلامي الاصيل في محوره الاهم وهو العقيدة، كما انه لا ريب في اهمية الدلالة للمثقف الاسلامي الذي بات يشكل كثرة كاثرة لا كالماضي.

وبيان ذلك: اننا نجد قبل مئة سنة من الآن (١٤٣٣ هـ ٢٠١٢م) ان المتعلم يكاد ينحصر في رجال الدين وبعض رجال الدولة، اما اليوم فاكثر الشعوب الاسلامية قد نالت قسطا من التعليم، ومع ملاحظة تعدد وسائل الاعلام والنشر نجد ان هناك خطرا هائلا يداهم العقيدة الاسلامية ويمتد تاثيره الى عقيدة عامة الناس ايضا حتى ممن ليس لهم في العلم والثقافة نصيب، حيث تُشكل تلك الاعلاميات مع استمرارها عاملا رئيسا في حرف عقيدة الناس والوقوف امام امتداد التشيع في شرق الارض و غربها، والانكى من ذلك ان تنتشر افكار غريبة عن التشيع بعنوان انها منه كما هو حاصل اليوم، فانى تصرفون؟

ثالثا: ان الحوزات العلمية هي الكيان العلمي المؤسس لمعرفة الدين الاسلامي وفق رؤية ال البيت النبوي (صلوات الله عليهم) ومن مهماته الحفاظ على الدين ككل والتفريق بين العقيدة والشريعة هو تجزئة للكيان الاسلامي ولا نظن باصحاب هذه الدعوى انهم بذلوا فيها من التأمل شيئا ولعلها الى الافكار الارتجالية اقرب منها الى

الرؤية العلمية، لكنها موجودة ولها افرازاتها التي شهدناها في عصرنا الراهن.

ومن المناسب ان نبين امرين:

الاول: ان العقيدة الاسلامية ضرورة ايمانية لا تقل عن البعد العملي التشريعي ان لم تفقه اهمية حيث عُرف عند الشيعة واشتهر بينهم ان العقيدة تؤخذ من الادلة لا من المتخصصين وقد عُرفت هذه المسالة بـ «عدم جواز التقليد في العقيدة» وهذه المسالة هي المؤسسة لفكرة عدم جدوى البحث العقائدي على المستوى العام، لكن لا ريب في وجود الثمرة المسوغة للبحث الكلامي و انارة الطريق امام المتعلمين لمفردات العقيدة ورد الشبه عنها.

الثاني: ظهرت في الاونة الاخيرة دعوى للتقليد في بعض مفاصل العقيدة ومفرداتها غير الاساسية، كما وجدنا من ينفي اهمية البحث في بعض المفردات غير الاصلية، ونجد ان الدعوى الاولى هي من افرازات محاولات الفصل بين الشارع المسلم والحوزة العلمية في مجال العقيدة، او بين المكلف والمتكلم، فكانت تلك المحاولة البائسة رد فعل لربط المسلم بالمتخصص من خلال «الفتوى العقائدية» كما ان هناك ارتباطا بين المسلم والمرجع الفقيه من خلال «الفتوى الفقهية» كما ان الفكرة الاخرى هي محاولة لسد الباب امام المنهج المذكور.

والصحيح ان هاتين الفكرتين هما بين طرفي الافراط في الاولى والتفريط في الثانية، حيث يبقى المعيار الاهم في رجال البحث العلمي هو مقدار ما ينفع به دينه وامته، و احتياج الوسط المثقف بل والمتخصص في غير العقيدة الى المتخصص فيها «المتكلم» يبقى راسخا لا تنقص من اهميته هذه الدعوى، فعلم العقيدة علم حيوي تحتاجه الامة بمختلف طبقاتها فلا مجال لدعوى عدم الاهمية لهذا العلم الا من غير المتأملين وها قد نبهنا «فهل من مدكر».

رابعا: نحن لا ندعو الى اهمال الجانب الفقهي بل نحن مع الفقاهة بادق تفاصيلها، واعلى مراتبها، و لكننا ندعو الى عدم اهمال البحث العقائدي او التعامل معه على انه بحث من الدرجة الثانية، فالعقيدة هي العمود الفقري للبحث الفقهي ولا بد من المام كل علماء الحوزة وطلبتها بها، ولا بد من المام بعضهم بجملة مفاصلها لغرض بيانها للاخرين ورد شبه المعاندين او المضللين، بل ان بعض الشبه تتولد لدى المؤمنين بسبب البث الاعلامي المتنامي ضد الدين بشكل عام وضد التشيع بشكل خاص، فكم وجدنا من اناس عاديين لا يظن المشاهد لهم انهم ممن تمكنت شبهة او شبهات من اذهانهم، وربما تندفع بعض الشبه بالبيان اليسير وربما نحتاج الى المزيد من البيان والشواهد لتثبيت عقيدة ذلك المستشكل.

واخيرا: ان البحث العقائدي اليوم ضرورة تاريخية دينية علمية ترتبط بالكثير من معالم الفكر الشيعي ونحن بحاجة ماسة للبدء

بنهضة معرفية تاصيلية تستلهم فكر اهل البيت (صلوات الله عليهم) لتوصله الى جيلنا المعاصر والاجيال اللاحقة صافيا لا تشوبه الانحرافات او التحريفات و لاهزاهز التشويهات.

تنبيه: انما خصصنا البحث بالكلام الشيعي لئلا يختلط البحث بالكلام السني الذي تبنى بعض النظريات المخالفة لما عليه الامامية ثم وجدنا ان المطاعن على علم الكلام عامة في حين ان الامامية لا يقولون بتلك المقولات التي منها ان المتكلم يدافع عن الظواهر الظنية الشرعية، وهذا من الغرائب اذ علم الكلام هو المتكفل ببيان المعقيدة الاسلامية وهي في مفاصلها الاساسية قطعية ولا تعتمد على النصوص تعبدا بمفادها بل استرشادا للحق الذي تكفلت النصوص ببيانه.

وقد رتبت هذه الدراسة على تمهيد و فصول وخاتمة.

تمهيد

تعريف علم الكلام

لا ريب ان دور التعريف هو اعطاء التصور الاجمالي عن العلم المعرف، ويبقى العلم التفصيلي بالعلم رهين معرفة مسائله ومناهجه، كما ان للعلم مهمة اخرى هي معرفة ما هي من مسائله فتبحث....

ومن هنا نجد ان التعريف بذكر الغاية هو ما جرى عليه العلماء فقالوا:

١ـ «الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية»[١].

٢ـ «الكلام علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه»[٢].

٣ـ «الكلام صناعة نظرية يقتدر بها على اثبات العقائد الدينية»[٣].

١ـ شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني.

٢ـ المواقف.

٣ـ شوارق الالهام للاهيجي ج١ ص٥١.

٤ـ «علم الكلام علم باحث عن احوال المبدء والمعاد على قانون العقل المطابق للنقل بطريق النظر والفكر»[١].

٥ـ «مسائل مشتملة على العقائد الدينية الحاصلة من ادلتها اليقينية»[٢].

ونقول ان «علم الكلام هو العلم المتكفل ببيان العقيدة الاسلامية والدفاع عنها»[٣].

غاية علم الكلام

ولعلم الكلام غايتان

الاولى: بيان العقيدة الاسلامية.

الثانية: الدفاع عنها.

ومن هنا نجد ان معرفة مفردة «العقيدة» دخيل في بيان المراد، فما هي العقيدة؟

العقيدة: هي مجموع المعارف التي ترتبط بالجانب الفكري النظري التي جاء بها الاسلام او افرزت صياغتها عصور المسلمين، دون الوصول الى ادخالّ افكار اخرى غير اسلامية في جذورها.

ولا بد من توضيح امور

١ـ البراهين القاطعة ج١ ص ٦٥.

٢ـ صراط الحق ج١ ص ١١.

٣ـ اطلالة على علم الكلام.

الاول: الارتباط بالجانب الفكري النظري، لاخراج الفقه الذي يرتبط بالجنب العملي للمكلف.

الثاني: الامور التي افرزت صياغتها عصور المسلمين المراد بها المسائل التي استعرضت بسبب تطور العصور الاسلامية بصياغات مختلفة لكنها تحكي المعارف الاصلية للاسلام ولو ادعاءا وهذا هو الذي يجعلها كلامية ثم يبقى لرفضها او قبولها مجاله الخاص.

الثالث: المراد بادخال افكار غير اسلامية هو الاشارة الى بعض الاتجاهات السائدة في هذا العصر التي حاولت ـ ونجحت الى حد كبير ـ في الاستيلاء على الواجهة الكلامية لتكون هي الممثل لهذه المدرسة الاسلامية بعد ان طالت عصور احتسابها كعدو لدود لعلم الكلام ونعني بها المدرسة الفلسفية الصوفية المعاصرة.

الرابع: لا بد من الانتباه الى ان بعض المسائل التي اخذت حيزا من اهتمام المتكلمين هي مسائل «تاريخية» كما في زواج ام كلثوم من عمر، او «فقهية» كما في مسالة الجمع بين الصلاتين او التكفير في الصلاة او الزواج المنقطع، او «غيبية» كما في الرجعة او حضور المعصومين (صلوات الله عليهم) عند الميت، بل بعضها عقلية او اصولية كما في التكليف بما لا يطاق وغيرها.

وقد يذهب وهم القاريء الى ان هذه المسائل تبحث في العلوم المختلفة كل في مجاله، ولكننا نجد ان هناك بحثا خاصا بها وبنحو لا تفي به المجالات الخاصة ويكون ذلك المجال حكرا على المتكلم،

بل حتى الفقيه ـ مثلا ـ حين البحث عن جواز الجمع بين الصلاتين نجده يبحث المسالة في الفقه بنحو وفي مقابل المخالفين ـ أي بما هو متكلم ـ بنحو اخر.

ومن هنا فان باب الدخول في المسائل الكلامية وفق رؤيتنا لعلم الكلام يبقى مفتوحا لتدخل فيه كل مسالة نحتاج للدفاع عنها مهما كان تصنيفها الاولي، وهذا مما يجعل اهمية كبرى لعلم الكلام وعبئا ثقيلا على المتكلمين.

الخامس: لا نجد اهمية لذكر تمام البحث الذي تعارف ذكره في مقدمات الكتب وهو «التعريف، الموضوع، الغاية» وذلك لان المفيد هو التعريف والغاية، والغاية داخلة في التعريف، فاقتصرنا على ذكر التعريف، اما الموضوع فلا مسوغ للبحث عنه اذ ان ملاك كون المسالة كلامية يضبط من خلال التعريف، وتمايز علم الكلام عن سواه يكون بالغاية، اما الموضوع لا سيما وفق الضابطة المتداولة «ما يبحث في العلم عن اعراضه الذاتية» فهو مما لا سبيل لتاييده فضلا عن اعتماده وصرف الوقت في تبيانه، وقد كتب استاذنا المحقق اية الله السيد عز الدين الحكيم (دامت بركاته) رسالة في ابطاله.

موقف الائمة (صلوات الله عليهم) من علم الكلام

لا شك ان العقيدة الاسلامية كانت من اجلى اهتمامات المبلغ الاسلامي الاول وهو الرسول الاعظم واله الائمة الاثنا عشر (صلى الله

عليه واله) وقد اوضحوها وبينوا مفرداتها، وادلتها، كما لا ريب ان علم الكلام نشأ في عصور وجودهم الشريف، فما هو موقفهم منه وما هو دورهم فيه؟

نقرء في هذا المجال صنفين من الروايات، الاول ينهى عن علم الكلام، والآخر يحث عليه، ومن الاول:

١ـ «عن ابي بصير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يهلك اصحاب الكلام وينجو المسلمون، ان المسلمين هم النجباء»[1].

ومن الثاني:

«عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند ابي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من اهل الشام فقال: اني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة اصحابك، فقال ابو عبد الله عليه السلام: كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه واله او من عندك؟ فقال من كلام رسول الله صلى الله عليه واله ومن عندي، فقال ابو عبد الله: فانت اذن شريك رسول الله؟ قال: لا، قال: فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك؟ قال: لا، قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه واله؟ قال: لا، فالتفت ابو عبد الله عليه السلام عليه السلام الي فقال: يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل ان يتكلم ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته، قال يونس

١ـ التوحيد للشيخ الصدوق ص ٤٥٨.

فيالها من حسرة، فقلت جعلت فداك اني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لاصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق وهذا نعقله وهذا لا نعقله فقال ابو عبد الله عليه السلام: انما قلت: فويل لهم ان تركوا ما اقول وذهبوا الى ما يريدون»[1].

فما هو الطريق الى الجمع بين هذه النصوص؟

هناك محاولات للجمع، اقدم ما رايته منها هو محاولة الشيخ المفيد (قدس سره) ومن المعاصرين الشيخ السبحاني (حفظه الله)، وترتكز هذه المحاولة على ان النهي كان لمن لا يحسن الكلام، والامر لمن يحسنه، يقول الشيخ المفيد: «فثبت أن نهي الصادقين - عليهم السلام - عن الكلام إنما كان لطائفة بعينها لا تحسنه ولا تهتدي إلى طرقه وكان الكلام يفسدها، والامر لطائفة اخرى به، لانها تحسنه وتعرف طرقه وسبله»[2].

ويؤيد هذا المسلك ما رواه الشيخ الطوسي (قدس سره) في الاختيار: «عن أبي خالد الكابلي، قال رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة ازراره وهو دائب يجيبهم

١ـ الكافي ج١ ص١٧١ والرواية في الارشاد للمفيدة (قده) ج٢ ص١٩٣ والاحتجاج للطبرسي ج٢ ص١٢٣ ومدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ج٥ ص٢٦٦ والبحار ج٢٣ ص٩.

٢ـ تصحيح اعتقادات الإمامية- الشيخ المفيد ص ٧١.

ويسألونة، فدنوت منه فقلت ان أبا عبد الله نهانا عن الكلام فقال: أمرك أن تقول لي؟ فقلت: لا ولكنه أمرني أن لا اكلم أحدا.

قال: فاذهب فأطعه فيما أمرك، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بقصة صاحب الطاق وما قلت له وقوله لي اذهب وأطعه فيما أمرك، فتبسم أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا أبا خالد ان صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض، وأنت ان قصوك لن تطير»[١].

وروي عنه - عليه السلام - «أنه نهى رجلا عن الكلام وأمر آخر به، فقال له بعض أصحابه: جعلت فداك، نهيت فلانا عن الكلام وأمرت هذا به؟ فقال: (هذا أبصر بالحجج، وأرفق منه)»[٢].

ولكننا نجد ان هناك امرا اخر دعى للنهي عن الكلام، و لا يتوفر ملاك الامر به وحسنه الا بملاحظته، وهو تحديد مرجعية المتكلم، وقد اوضحه الامام الصادق (صلوات الله عليه) في رواية يونس بن يعقوب السابقة حيث قال: «فقلت جعلت فداك اني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لاصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق وهذا نعقله وهذا لا نعقله فقال ابو عبد الله عليه السلام: انما قلت: فويل لهم ان تركوا ما اقول وذهبوا الى ما يريدون».

١ـ اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٤٢٤.

٢ـ تصحيح اعتقادات الإمامية- الشيخ المفيد ص ٧١.

وليس ملاك الامر به وعدم النهي عنه ما ذهب اليه الاعلام فقط، ويؤيد قولنا الجمع بين ما ذكرناه سابقا والرواية الاتية: «عن محمد بن عيسى، قال: قرأت في كتاب علي بن هلال الى الرجل يعني ابا الحسن (عليه السلام): انهم نهوا عن الكلام في الدين، فتأول مواليك المتكلمون، انه انما نهى الذي لا يحسن ان يتكلم، فاما من يحسن ان يتكلم فلم ينهه فهل ذلك كما تأولوا أم لا؟ فكتب (عليه السلام): المحسن وغير المحسن لا يتكلم فان اثمه اكبر من نفعه»[1].

وحصيلة البحث: ان من يجوز له التكلم في العقيدة هو من جمع امرين:

الاول: معرفة العقيدة وسبل بيانها والدفاع عنها بالحق.

الثاني: الرجوع الى ال البيت النبوي الشريف (صلوات الله عليهم).

فمن لا يعرف العقيدة او عرف شيئا من غير طريق ال محمد (صلى الله عليه واله) فلا يحق له الكلام على مسلك الائمة الهداة (صلوات الله عليهم).

١ـ التوحيد للشيخ الصدوق ص٤٥٩.

هل علم الكلام علم جدلي؟

تقدم ان لعلم الكلام وضيفتين احداهما بيان العقيدة الاسلامية والاخرى الدفاع عنها، وكلاهما لاتناسبه دعوى جدلية هذا العلم فان الانسان الحر المنصف لا يستغني بالجدل لمعرفة الحق والدفاع عن افكار لا تمتلك الدليل على صحتها، بل ان مثل هذه الدعوى ترجع الى اتهام الاسلام بجدلية ادلته، ونحن حيث بينا ادوار علم الكلام ومناهجه واوضحنا ان المنهج الصحيح هو الاخذ من ائمة الهدى صلوات الله عليهم حيث ذم الائمة صلوات الله عليه الاخذ من غيرهم كما في رواية يونس السابقة: «فويل لهم ان تركوا ما اقول وذهبوا الى ما يريدون»، فهنا يحق لنا ان نتسائل هل ما بينه القران والرسول الاعظم واله صلى الله عليه واله هو جدل؟

جدل عن ماذا؟ أ لم يات الاسلام بدين جديد على العرب، وهم اولوا القوة، الرافضون لما جاء به الاسلام؟ اليس من اليسير على تلكم الامة التي دك الاسلام دينها وقتل سادتها وقلب نظامها الاجتماعي والثقافي والسياسي أليس الاجدر بها ان تسأل الخصم عن الحجة والدليل؟

الم تصدح النصوص الشريفة قرآنا وسنة بالادلة على كل ما ادعته؟ الادلة القاطعة الواضحة الملائمة للفطرة.

ودعوى ان المتكلمين: «تعاملوا مع الظواهر النقلية بنحو يرفض اي تفسير او شرح او نقد لها»[١]، لايمكننا المرور بها دون التعليق عليها بامور:

١ـ الاعتماد على الظواهر هو الطريق العقلائي في الافادة والاستفادة فحتى هذا المشكل ادى مطلبه بالاعتماد على ان ظاهره مراد له ولو فتحنا باب ارادة غير الظاهر لتوقفت مسيرة العلم وانسد باب الاستفادة من خبرات الاخرين.

٢ـ هناك الكثير مما ورد في الادلة النقلية لا يفيد الظن وليس هو مجرد (ظواهر نقلية) بل يفيد القطع، ومنها النصوص الدينية التي تبين استدلالات عقلية فلا يكون الدفاع عنها دفاعا عن ظواهر نقلية.

٣ـ لا يمكن للعقل الوصول الى الكثير من مفردات العقيدة مثل المعاد والرجعة ونبوة الانبياء[٢] (صلوات الله عليهم) وامامة الائمة الهداة (صلوات الله عليهم) وغيرها فلا بد من اعتماد غير المدرسة العقلية للوصول اليها، بل ان المصدر الوحيد للكثير من مفردات العقيدة هو النقل.

٤ـ اما رفض نقد الظواهر او شرحها وتفسيرها فهي دعوى على عهدة مدعيها حيث لانجد مثل ذلك فيما وصل الينا من تراث تلكم الحقبة.

١ـ مدخل الى مناهج المعرفة عند الاسلاميين ص ٢١٤ للسيد كمال الحيدري.
٢ـ المراد ما عرف في الابحاث الكلامية بالنبوة الخاصة.

٥ـ لعل النص السابق يعني باشكاله غير الامامية من المدارس الاسلامية الاخرى فيخرج حينئذ عن محل كلامنا لكن ينبغي له ان ينبه الى ان الكلام عند الامامية لا ترد عليه هذه الملاحظة فيكون ذلك من مميزاتها.

الفصل الاول:

مناهج علم الكلام

يلاحظ الباحث في الشأن الكلامي ان هناك مناهج متنوعة، فرض تنوعها ظروف وجود الامام ورعايته لاتباعه بشكل مباشر، او غيبة الامام وتولي العلماء دور الريادة الظاهرية، واختلاف الاجواء العلمية الدخيلة في تكوين شخصية اؤلئك الاعلام، مما ترك اثرا في تعميق او تشويه معالم العقيدة الصحيحة التي جاء بها الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه واله) وحاطها اله الكرام (صلوات الله عليهم)، ومن هنا نجد ان الضرورة العلمية ان يتوفر الباحث على رؤية واضحة حول المنهج الصحيح في تحصيل العقيدة الاسلامية.

ونستطيع ان نميز ثلاثة مناهج، سنبحثها في هذا الفصل هي: المنهج الروائي، المنهج التحليلي، المنهج الفلسفي.

المنهج الروائي

وهو المنهج الذي يعتمد على وجود بيان من المعصوم (صلوات الله عليه) ليتحدد من خلال النص محور العقيدة وحدودها فيقف عند ذلك التحديد لا يعدوه الى سواه، ومن هذا المنطلق فلا يكون لعلم الكلام مجال الا التفهم والتفكر لما ورد عن الحجج المعصومين (صلوات الله عليهم)، والتوقف فيما لا بيان فيه.

ودليلنا على صحة هذا المسلك ما ورد عنهم من الردع عن الاخذ عن غيرهم، والامر بالرجوع اليهم، ومن ذلك:

١ـ «عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لكميل ابن زياد قال، يا كميل! لا غزو إلا مع إمام عادل، ولا نفل إلا من إمام فاضل، يا كميل! هي نبوة ورسالة وامامة، وليس بعد ذلك إلا موالين متبعين، أو مبتدعين، إنما يتقبل الله من المتقين، يا كميل! لا تأخذ إلا عنا تكن منا. الحديث»[١].

١ـ وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٠.

٢ـ «عن فضيل بن يسار قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول كلما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»[١].

٣ـ «عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): إياك والرئاسة وإياك أن تطأ أعقاب الرجال، قال: قلت: جعلت فداك أما الرئاسة فقد عرفتها وأما أن أطأ أعقاب الرجال فما ثلثا ما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال فقال لي: ليس حيث تذهب، إياك أن تنصب رجلا دون الحجة، فتصدقه في كل ما قال»[٢].

٤ـ «عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: بما أوحد الله؟ فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر»[٣].

٥- «عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها؟ فقال: لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل»[٤].

١ـ بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ٥٣١.

٢ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ٢ صَ ٢٩٨.

٣ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٦.

٤ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٦.

بل ورد في الخبر الشريف ان الائمة (عليهم السلام) لا ينظرون في الدين بعقولهم و لا يفتون بآرائهم انما هو تبليغ لما امر به الله تعالى وبينه لهم فعن الفضيل بن يسار عن ابى جعفر عليه السلام انه قال: «لو انا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا ولكنا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه فبينها لنا»[١].

فاذا كان الائمة الهداة (صلوات الله عليهم) وهم المعصومون لا يقولون برأيهم فكيف بمن هو دونهم ولا عصمة له!

لا دور في اعتماد الاخبار في العقيدة

ان البحث الكلامي سبيله بيان الواقع و الاقناع به وليس التعبد فلا يرد علينا بان الاعتماد على الاخبار متفرع على ثبوت حجية قول المعصوم وهي متفرعة على ثبوت وجود الباري ووحدته والنبوة...

بيان وتفصيل

ويحسن زيادة البيان هنا فنقول: وجه الشبهة هو ان الاعتماد على قول الحجج (صلوات اله عليهم) يلزم منه الدور، وبيانه: ان معرفة العقيدة الصحيحة يعتمد على قول المعصوم وقول المعصوم يعتمد في حجيته على امور منها:

١ـ ثبوت ان هذا الشخص معصوم و٢ـ ان هذا القول هو قوله.

١ـ بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ٣١٩.

ثم كون هذا الشخص هو المعصوم يعتمد على اخبار الله تعالى بذلك وهذا الاخبار يعتمد على وجود البارئ وصدق مدعي الاخبار عنه (النبي).

وهل العقيدة الصحيحة الا تحديد تلك الامور الاساسية؟ فمعرفة الله والحجة هما اساس المعرفة، فيلزم الدور.

والجواب: لا يلزم الدور لان البيان المعصومي على نوعين:

الاول: التعبدي.

الثاني: بيان الحجة بشرح الواقع والاستدلال على الحق.

وانما يلزم الدور على الاول اما الثاني فلا دور فيه، والعقيدة بينت في اسسها بالشكل الثاني.

ومن هنا فلا مجال لشبهة الدور التي يكررها الباحثون في العقيدة دون التأمل في ما بيناه.

وهذه الشبهة وقفت سدا دون الاخذ بالاخبار والاسترشاد بها لمعرفة العقيدة.

نماذج من المنهج الروائي في علم الكلام

وهنا نقدم انموذجين لهذا المنهج

الاول: العلامة المحقق المتتبع الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس سره).

الثاني: العلامة المحقق الفقيه الشيخ يوسف البحراني (قدس سره).

العلامة المجلسي

هو العلامة المحقق المتتبع المتكلم الفقيه المجاهد اية الله الشيخ محمد باقر بن الفقيه الكبير الشيخ محمد تقي المجلسي (قدس سره)، فقيه، محدث، متكلم، له الفضل الكبير في الحفاظ على اخبار الائمة الاطهار (صلوات الله عليهم).

وله في سبيل ذلك جهود كبيرة منها:

١ـ التدريس، فقد اشتغل بتدريس كتب الحديث كما هو ظاهر من مقدمة كتابه الجليل «ملاذ الاخيار».

٢ـ الشرح، فقد شرح الكافي الشريف والتهذيب بما صار مرجعا مهما لمن رام الانتفاع من هذه الكتب.

٣ـ التاليف فالف بحار الانوار، فجمع فيه ما انتشر من كتب الشيعة وقد بذل في سبيل ذلك جهودا كبيرة، وقد علق على مواضيع البحار بتعليقات نافعة يظهر منها طول باعه وكثرة علمه واطلاعه (قدس الله سره واجزل اجره).

ونجد ان المحقق المجلسي يعتمد على جمع الاخبار والمقارنة بينها والاستظهار منها ليتوصل الى النتيجة التي تؤديها الاخبار

بمجموعها وقد يسر ذلك له جمع اخبار الباب في موضوع واحد مما ييسر له التوصل الى رؤية واضحة.

هذا بالاضافة الى توفره على امرين وفرا له استكمال الموسوعية في الفكر العقائدي عنده مما يجعل البحار موسوعة عقائد كبرى لا يسع الباحث اغفالها:

الامر الاول: الاطلاع الواسع على الاراء الكلامية لعلماء الامامية وغيرهم.

الامر الثاني: الاطلاع على الفكر الفلسفي والصوفي المنتشر في عصره.

وقد اجاب عن شبه الفلاسفة وغيرهم مما يصحح لنا دعوى ان البحار هو مشروع العلامة المجلسي في التصدي للفكر الفلسفي الصوفي، لذا نجد ان هناك اقصاءا لجهود هذا العالم المحقق الكبير بل واتهامه بقصر الباع[1]، فراجع كتبه لتجده علما شامخا من كبار علماء الشيعة محقق لما حققه الائمة الهداة، مبطل لما ابطلوا.

كتبه: له كتب كثيرة منها:

١ـ بحار الانوار.

٢ـ مرآة العقول. وهو شرح لكتاب الكافي بجميع اقسامه اصولا وفروعا وروضة.

١ـ انظر تعليقة الطباطبائي على الجزء الاول من البحار، وانظر معجم طبقات المتكلمين للسبحاني الجزء الاول.

٣ـ ملاذ الاخيار. وهو شرح لتهذيب الشيخ الطوسي (قدس سره).

٤ـ الاربعون حديثا.

ومنهجه هو جمع الاخبار المتفقة موضوعا ثم استنباط المطالب المعرفية منها وفي هذا المنهج فوائد:

الاولى: افادة العلم بمطالبه التي اتفقت الاخبار عليها وان كانت الاخبار في نفسها ضعيفة بحسب المصطلح المتاخر، فان المضمون المتفق عليه بينها يكون متواتر معنى او مستفيض.

الثانية: يذكر المتعارضات ويحل ما قد يرد عليى الاخبار من انظار، فوفر بذلك موسوعة معرفية كبرى هي البحار.

العلامة البحراني

هو العلامة المحقق المتكلم الفقيه اية الله الشيخ يوسف البحراني (قدس سره)، فقيه، محدث، متكلم، عرف بكتابه الفذ الحدائق الناظرة فكان الفقيه الكبير المحقق المتتبع، وقد بحث بعض المواضيع الكلامية خلال ابحاثه الفقهية في الحدائق وله ابحاث كلامية مهمة في غيره ايضا مما يؤشر لمتكلم كبير كما هو فقيه نحرير.

نماذج من ابحاثه المعارفية

١ـ حول ليلة القدر وارتباطها بالمعصوم والتقدير الالهي، الحدائق ج ١٣ ص ٤٣٨ وما بعدها.

٢ـ الفوائد الست التي صدر بها بحثه حول معنى الناصب في كتابه الجليل الشهاب الثاقب.

أـ الفائدة الاولى. في حقيقة الاسلام في زمن الرسول (صلى الله عليه واله).

ب ـ الفائدة الثانية. في دلالة حديث الغدير.

ج ـ الفائدة الثالثة. في تقسيم الضروري الى ضروري المذهب و الدين.

د ـ الفائدة الرابعة. في ان الامامة من ضروريات الدين.

هـ ـ الفائدة الخامسة. في ان محبة اهل البيت (عليهم السلام) من ضروريات الدين.

وـ الفائدة السادسة. في معنى الايمان والاسلام.

٣ـ له في الدرر النجفية ابحاث مهمة منها:

أ ـ الدرة رقم ١٤. وهي بيان معنى التردد المنسوب الى الباري في حديث الاسراء.

ب ـ الدرة رقم ١٦. في تحقيق مسالة الوحدانية في العدد.

ج ـ الدرة رقم ١٧. في تحقيق الفرقة الناجية.

د ـ الدرة رقم ١٨. في توجيه رضا الائمة (عليهم السلام) بما نزل فيهم من البلاء.

هـ ـ الدرة رقم ٣٢. في مراتب المعرفة.

و- الدرة رقم ٤٢. في رسالة الهادي (عليه السلام) الى اهل الاهواز حول الجبر والتفويض.

ز- الدرة رقم ٤٦. في الجمع بين حديثي زدني فيك معرفة، ما ازددت يقينا.

ح - الدرة رقم ٥٦. في المعاد الجسماني.

ط - الدرة رقم ٦٣. فيما ورد في امامة الاثني عشر من طرق اهل السنة.

ي - الدرة رقم ٦٩. في الاختلاف في تحريف القران.

كتبه: وهي كثيرة منها:

١- الحدائق الناظرة.

٢- الدرر النجفية.

٣- الشهاب الثاقب.

٤- الكشكول.

ولم يكتب لنا العلامة البحراني كتابا كلاميا مفردا لكنه تصدى لبيان المعارف من خلال بيانه لمعاني الاخبار ضمن ابحاثه الفقهية كما تعهد به هو (قدس سره)، قال: «وروى المشايخ الثلاثة في الصحيح عن معاوية بن وهب انه سأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن افضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم؟ فقال ما اعلم شيئا بعد المعرفة افضل من الصلاة».

بيان: في هذا الخبر الشريف فوائد يحسن التنبيه عليها والتعرض إليها لان كتابنا هذا كما يبحث عن الاحكام الفقهية يبحث ايضا عن تحقيق معاني الاخبار المعصومية.[1].

١ـ الحدائق الناضرة - المحقق البحراني ج ٦ ص ٢.

المنهج التحليلي

وهو المنهج القائم على محاولات التعقل البشري لفهم اسس المعارف الاسلامية، وقد مثل المعتزلة اهم تياراتها في القرون الاسلامية الاولى، وتقوم تلك المدرسة على اضفاء العقلنة على جميع محاورها الفكرية وقد لاقت قبولا واسعا وذلك لاحترام الاسلام والانسان للعقل، وقد وفرت هذه المدرسة الفرصة لاعلام الشيعة بعد عصر حضور الامام (صلوات الله عليه) لينفتحوا على العالم السني من خلال الالتقاء الفكري العقلي من خلال مدرسة المعتزلة، فنجد ان هناك تقاربا بين الافكار بل وتلاقحا فكريا واضحا تسربت من خلاله افكار اعتزالية الى الشيعة بعد محاولات لتعديلها واضفاء المسحة الخاصة عليها بل واستثمارها في مجالات متعددة مما لا يقول به المعتزلة، وابرز مثال على ذلك هو «قاعدة اللطف» التي اخذها الشيعة عن المعتزلة.

ولئن كان للمرحلة الحضارية الخاصة وظروف الابتعاد عن المعصوم وغيابه التي كانت في بدايتها، ما يسوغ ذلك، ويوفر لنا العذر لأولئك الاعلام الذين حاطوا الدين وبينوا معالم العقيدة ودافعوا عنها،

فاننا نجد ان من ضرورة الحفاظ على الحقيقة الدينية ان نحاسب تلك المفردات حسابا علميا دقيقا لناخذ ما يتوافق مع الاسس المعرفية لال البيت الطاهرين (صلوات الله عليهم) ونذر ما سواه.

وليس ذلك بالعصي على الفكر الشيعي الذي تميز بحب الحقيقة، وعمق البحث، ومن هنا نجد ان «قاعدة اللطف» قد رفضت رفضا قاطعا من قبل جمع من اعلام الشيعة في العصر الحاضر[١].

١ـ راجع ما علقناه حول قاعدة اللطف في «اضواء على النافع يوم الحشر».

المنهج الفلسفي

تقدم ان الانفتاح على الاتجاهات الفكرية المخالفة والمختلفة كان من ميزة العلماء الاعلام بعد عصر الحضور، وكانت البوابة التي وجدها الاعلام لذلك الانفتاح هي «العقل» كما تقدم بيانه، واستمر الامر لنجد ان هنا تحولا من العقل المعتزلي الى التاثر بالعقل الفلسفي، وسوق معطياته كاسس للمعارف الايمانية، وقد مرت بمرحلتين، وكما اسست مرحلة الانفتاح لقبول هذه المرحلة، فقد اسست مرحلة التاثر بالمشرب المشائي لقبول المرحلة الاخيرة وهي مرحلة الغاء الكلام وقيام فلسفة الحكمة المتعالية محله.

فهنا مرحلتان، لا بد من بيان الامر فيهما:

أ ـ الكلام على مشرب المشائين

ظهرت الفلسفة في القرن الثاني الهجري على يد ملوك بني امية وازدادت في عصر بني العباس، ومع غض النظر عن سبب ادخالها الى الثقافة الاسلامية، وهل هو اثراء الفكر الاسلامي، ام محاربة فكر ال البيت الطاهرين (صلوات الله عليهم) من خلال تشويه الذهنية

العامة للمفكر الاسلامي مما يدخل الفكر في صراع بين الفلسفة المستوردة والفكر الاسلامي الاصيل، كما نلاحظ ذلك واضحا في حوارات الفلاسفة مع الامام الرضا (صلوات الله عليه).

فاننا نجد ان هناك مواجهة واضحة بين الفكر الاسلامي والشيعي مع الوافد الفلسفي يظهر ذلك جليا من ملاحظة امرين:

الاول: النصوص الواردة في النقاشات العلمية والمجادلات الفلسفية الجارية بين الائمة الهداة (صلوات الله عليهم) والمنتهلين من تلك الفلسفة، وتجده واضحا فيما نقله لنا الشيخ الصدوق في التوحيد وعيون اخبار الرضا.

الثاني: وجود مؤلفات لاصحاب الائمة (صلوات الله عليهم) في الرد على الفلاسفة.

وهذا النص يعطي الدليل على ما نقول، قال العلامة النمازي ره: «قال مولانا الصادق صلوات الله عليه في رواية توحيد المفضل: فتبا وتعسا وخيبة لمنتحلي الفلسفة – الخ».

وقال مولانا الحسن العسكري صلوات لله عليه لأبي هاشم الجعفري في رواية شريفة: علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف. وأيم الله إنهم من أهل العدول والتحرف – الخ. وتمام الحديث في كتابنا «تاريخ فلسفه وتصوف».

وحيث أنه جاء محمد رسول الله وأوصياؤه المرضيون صلوات الله عليهم لإبطال الفلسفة اليونانية والحكمة البشرية كما نسب ذلك إلى قمر سماء الفقاهة صاحب الجواهر قال: ما بعث رسول الله إلا لإبطال الفلسفة، كما سيأتي.

بين القرآن والعترة الطاهرة خليفتا رسول الله (صلى الله عليه وآله): المعارف الحقة الإلهية في الخطب والأدعية والأحاديث الواردة عن النبي والعترة، حفظها أهلها وعلموها طالبها، واقتبسوها من أهلها، وبينوها في كتبهم، وقاموا برد الفلسفة البشرية، واقتبسوا الحكمة الإلهية من بيوت النبوة والرسالة، ومعدن العلوم الإلهية الربانية.

فمن أصحاب الأئمة صلوات الله عليهم الذين اقتبسوا العلوم الإلهية من مواليهم، وقاموا تبعا لمواليهم في الرد على الفلسفة البشرية: هشام بن الحكم: الثقة الجليل يطعن على الفلاسفة، كما نقله الكشي في كتابهم، وذكره في البحار، وهو من أجلاء أصحاب الصادق والكاظم (عليهما السلام). ولهشام هذا كتب كثيرة. منها: كتاب الدلالات على حدوث الأجسام، وكتاب الرد على الزنادقة. وكتاب الرد على أصحاب الطبائع، وكتاب الرد على أرسطا طاليس، كما ذكرها النجاشي في رجاله والشيخ في كتاب فهرسته وغيرهما.

ومنهم الفضل بن شاذان النيشابوري: الثقة الجليل والفقيه المتكلم النبيل، صنف مائة وثمانين كتابا. منها: كتاب الرد على الفلاسفة، كما نقله النجاشي في رجاله. ونحوه الشيخ في ست ص

١٥٠. وهو من أجلاء أصحاب الرضا والجواد والهادي صلوات الله عليهم. توفي سنة ٢٦٠. ومنهم علي بن أحمد الكوفي المتوفى سنة ٣٥٢، له كتب. منها: كتاب الرد على أرسطا طاليس، وكتاب الرد على من يقول أن المعرفة من قبل الموجود، كما قاله النجاشي. ومنهم علي بن محمد بن العباس: ذكر النجاشي كتبه وعد منها: كتاب الرد على أهل المنطق، وكتاب الرد على الفلاسفة، وكتاب الرد على العروض. ومنهم هلال بن إبراهيم: ثقة، وله كتاب الرد على من رد آثار الرسول واعتمد نتائج العقول، كما ذكره النجاشي. ومنهم الحسن بن موسى النوبختي: قال في الروضات: هو صاحب الأبحاث الواردة الغفيرة على حكماء اليونان. ومنهم ابن الجوزي في كتاب تلبيس إبليس فصل ٥٢، كما في السفينة. ثم ذكر كلماته وسيأتي قريبا. ومنهم الصدوق في مفتتح كمال الدين حيث طعن عليهم. ومنهم قطب الدين الراوندي: له كتاب تهافت الفلاسفة، كما نقله فهرست منتجب الدين. ومنهم الشيخ المفيد: له كتب. منها: كتاب جوابات الفيلسوف في الاتحاد، وكتاب الرد على أصحاب الحلاج. ومنهم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني: له كتاب في نقض شبه الفلاسفة، كما نقله العلامة المامقاني عن العلامة الشيخ الحر العاملي.

ومنهم المولى محمد طاهر القمي العلامة المحقق: له كتب. منها: كتاب جليل القدر والمرتبة في الرد على حكمة الفلاسفة وغيرها من الكتب، ورسالة في الرد على الصوفية، كما ذكره في جامع الرواة.

ومنهم الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي: كان شديد الرد على الفلاسفة مظهرا فضائحهم مع استيلائهم حينئذ، كما ذكره في الروضات «اه»[1].

ورغم ذلك فان الظرف الحضاري ساق الفلسفة المشائية لتكون احد الاسس المعرفية لعلم الكلام، فدخلت الى المدرسة السنية على يد الرازي، وبعدها دخلت الى الشيعة على يد الخواجا نصير الدين الطوسي.

ورغم الجهود الكبيرة التي قام بها ابرز تلامذة الخواجا الطوسي في الرد على الفلاسفة ونقض شبهاتهم، لكن بقيت اثار تلك الفلسفة واضحة على قسمات الفكر الشيعي، ولعل من المفارقات الغريبة ان يكون تسرب ما تسرب منها الى الفكر الشيعي بواسطة ذلك العالم الفاضل الكبير الذي صد الفلسفة وهو العلامة الحلي (قدس سره)، وفي ذلك عبرة لنا، تجعلنا نحذر دائما من مغبة الانسياق وراء بهرجة التعالم والانزواء عن النصوص الدينية ولو قليلا فان السالك على غير الطريق لا يزيدة شدة السير الا بعدا عن الغاية.

١ـ مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي ج ٨ ص ٢٩٨.

تاثير الفلسفة على معطيات العقيدة واسلوب الاستدلال

للفلسفة تأثير سلبي على المضامين الدينية، ولها صنفان من التأثير الاول منهما هو التأثير المنهجي حيث ادت المعطيات الفلسفية باعتبارها عقلية الى التقحم نحو تأويل النصوص الشريفة المخالفة.

والثاني هو تغير النتيجة اعتمادا على المعطى الفلسفي ونذكر لذلك موردين:

المورد الاول: الاستدلال على وجود الباري بحدوث الاشياء بعد العدم وبما يرجع الى الحدوث كالنظام مثلا هو دأب القران والسنة وهو الدائر على السنة المتكلمين من مختلف الفرق.

وعندما تأثر علم الكلام بالمنحى الفلسفي المشائي بدء الاستدلال بالحدوث ينحسر ليحل الاستدلال بدليل الامكان كبديل افضل، ادخله الرازي صاحب المحصل الى الاتجاه السني وكذلك ادخله نصير الدين الطوسي الى البحث الكلامي الشيعي، لنقف على علم كلام يجعل من دليل الامكان فتحا معرفيا، فهل هذا تطور في البحث العلمي ام انحراف في المسلك الكلامي؟

ولتحصيل نتيجة صحيحة لا بد من بيان امور

- الامر الاول: لو كان دليل الامكان ادق من دليل الحدوث لكان اولى بان يتصدى دعاة الدين من الرسول الاعظم واله (صلى الله عليه

واله) لبيانه للناس لا ان يبقى في طي الكتمان الى ان يجئ بيان الفلاسفة لهذا الاستدلال.

الامر الثاني: يبتني الدليل على تقسيم الوجود الى واجب وممكن واختلفوا في تقرير الدليل فوصلوا الى تسعة عشر تقريرا كما في كتاب (برهان الصديقين) لمؤلفه محمد رضا اللواتيا. وقد اختلفوا في حقيقة الوجود بين قائل انه عرض واخر يدعي انه معقول فلسفي ثاني ليس له ما بازاء في الخارج الى ثالث يقول انه هو المتاصل في الخارج ولا شئ سواه والمدرسة الفلسفية اليوم تدعي ان محض الوجود وصرفه هو الله تعالى وليس غيره في الدار ديار.

وعلى هذا الاساس انسجم الاستدلال بدليل الامكان هذا مع قول فلاسفة المشاء بقدم العالم حيث جعلوا حاجة الممكن الى العلة في ذاته وهذا لا يتنافى مع قدم العالم.

ثم انسجم هذا الدليل مع قول فلاسفة الحكمة المتعالية بوحدة الوجود حيث جعلوا الممكن طورا من اطوار الواجب وشانا من شؤونه.

ولكن اين هذا من الحق الذي يجب استيضاحه واتباعه وهو ان الخالق سبحانه شئ لا كالاشياء، ليس كمثله شئ، خلو من خلقه وخلقه خلو منه، بائنا عن الخلق بينونة صفة... الى غيرها من البيانات التي تعطي ان الباري سبحانه ليس كخلقه وانه كان وحده ثم اوجد العالم وجعل وجود العالم بعد عدمه دليلا عليه فحدوث العالم هو

الدليل على المحدث ولولا الحدوث لما علم احد من الخالق ومن المخلوق.

والحاصل فان الاستدلال بالامكان فيه ما فيه ويكفينا في رده عدم وروده على السنة الادلاء على التوحيد وانسجامه مع مقالات اهل الضلال الى اشكالات اخرى ليس المقام محل ذكرها[١].

المورد الثاني: المعاد، فنجد ان في الاخبار الشريفة ما يدل على فناء العالم بحيث لا يبقى موجود سوى الله تعالى كما افاده المحقق المجلسي (قدس سره)، قال:

١ـ «عن هشام بن الحكم في خبر الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل إلى أن قال: أيتلاشي الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الاشياء وتفنى، فلا حس ولا محسوس، ثم اعيدت الاشياء كما بدأها مدبرها، وذلك أربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين.

بيان: هذا الخبر يدل على فناء الاشياء وانعدامها بعد نفخ الصور»[٢].

١ـ انظر «اصول المعارف الالهية» و «معرفة الله بالله لا بالاوهام» للعلامة المحقق الشيخ حسن ميلاني (دامت بركاته).

٢ـ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٦ ص ٣٣٠.

٢ـ «هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها ومتبلدة اممها وأكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها؟ ولتحيرت عقولها في علم ذلك، وتاهت وعجزت قواها، وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها وأنه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شئ معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والاوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شئ إلا الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكأده صنع شئ منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما خلقه وبرأه، ولم يكونها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ند مكاثر، ولا للاحتراز بها من ضد مثاور، ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شئ منها عليه، لم يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنه سبحانه

دبرها بلطفه وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشئ منها عليها.

تتميم: اعلم أن ظاهر هذا الخبر فناء جميع المخلوقات عند انقضاء العالم كما هو مذهب جماعة من المتكلمين»[1].

ثم نجد ان هذا الفاضل المحقق يعترف بان هذا ظاهر الاخبار كما عرفت وان الخواجة الطوسي (رحمه الله) تأول الاخبار، فقال: «والحق أنه لا يمكن الجزم في تلك المسألة بأحد الجانبين لتعارض الظواهر فيها، وعلى تقدير ثبوته لا يتوقف انعدامها على شئ سوى تعلق إرادة الرب تعالى بإعدامها، وأكثر متكلمي الامامية على عدم الانعدام بالكلية لاسيما في الاجساد قال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد: والسمع دل عليه ويتأول في المكلف بالتفريق كما في قصة إبراهيم عليه السلام انتهى»[2].

فالطوسي كالمجلسي في الاعتراف بدلالة السمع على فناء الاشياء، لكن هناك مسالة الجأت الفاضل المحقق الطوسي الى التخلي عن مفاد الاخبار وتأويلها وهذه المسالة هي التي عرفت في الابحاث الفلسفية بـ «امتناع اعادة المعدوم»، كما ان الشيخ المحقق المجلسي

١ـ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٦ ص ٣٣٠.

٢ـ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٦ ص ٣٣٦.

توقف[١] في المسالة مما جعلها من موارد النظر والبحث وهذا ما لم يتوفر عليه الاعلام الباحثون في هذه المسائل لانهم بين من اختصر الكلام في المقام، وبين من اخذ قول المحقق الطوسي اخذ المسلمات، وللتحقيق حول المسالة محل اخر.

ب ـ الكلام على مشرب الحكمة المتعالية

وهذه المدرسة نشأت على يد صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي المعروف بملا صدرا، وقد استند فيها الى دعاوى الكشف، لكنه حاول اظهارها بمضهر البرهان و دعمها بذكر بعض النصوص الدينية، والمتابع لفلسفته يجد ـ بوضوح ـ انه برهانه عقيم وفهمه للنصوص سقيم، فليس له الا دعاوى الكشف المعارضة بقطعي العقل والدين كما ستعرفه من خلال الشواهد التي نذكرها.

ولهذه المدرسة من الخطورة ما يجعلنا لا نفتأ نتكلم حولها وحول امتداداتها في فكرنا المعاصر، الذي نخشى عليه ان استمر الامر على الثقة بذلك الفكر ان لا نجد له عينا ولا اثرا، فالخطر عظيم والمحنة لا تحد بحدود بعض المفردات الاعتقادية بل ان الخطأ قد

١ـ توقف المحقق المجلسي بسبب تعارض ظواهر الاخبار ووافقه الفقيه المتتبع البحراني (قدس سرهما) لنفس السبب، وهذا من مظاهر الاختلاف المنهجي حيث لجأ العلمان الى التوقف بسبب تعارض الاخبار، اما المحقق الطوسي فلجأ الى تاويل اخبار الفناء اعتمادا على القاعدة الفلسفية.

تسرب الى المنهج العقائدي واسس المعرفة الاعتقادية، بل والى اصول الفقه، مما شوه ـ و لا يزال ـ معالم الفكر الشيعي.

ولاجل استيضاح خطورة هذه المدرسة نقدم امورا:

الامر الاول: يقول الشيخ المطهري (رحمه الله): «اضحى الكلام والفلسفة لدى ملا صدرا امرا واحدا»(١).

ويقول: «فالفلسفة الاسلامية لم تتقدم حتى خطوة واحدة نحو الكلام، وانما الكلام وقع تحت تاثير الفلسفة بالتدريج، ليهضم فيها في نهاية المطاف»(٢).

فهذه الفلسفة الغت دور علم الكلام واخذت هي محله لتكون من وجه «فلسفة»، ومن وجه اخر «كلام»، ثم اننا بالعودة الى منابع هذه الفلسفة نجد انها ترجمة لافكار ابن عربي الصوفي العامي الضال الذي كفره علماء اهل السنة وكذلك الشيعة.

فهنا امران:

الاول منهما: في اثبات ان هذه الفلسفة ترجع في جذورها الى ابن عربي.

الثاني منهما: موقف علماء الشيعة من ابن عربي.

اولا: الفسفة الصدرائية ترجمة برهانية لدعاوى ابن عربي

١ـ محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص ٦٨.

٢ـ محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص ٦٨.

يقول السيد كمال الحيدري: بغياب الحركة النقدية العلمية الشاملة لمشروع صدر الدين الشيرازي الفلسفي تمتلئ الساحة على سواء باتجاهات تبالغ بما حققه او تجحف به من خلال الحط من انجازه بانتظار ولادة تلك الحركة التي تدرس فلسفة صدر المتالهين برؤية شاملة وتقيم الانجاز الصدرائي بصيغة متوازنة، نمر على شهادات خطيرة تلتقي في الدلالة باجمعها على ان ابرز مرتكزات الحكمة المتعالية تثوي في كتابات الشيخ محيي الدين بن عربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ) بالاخص كتابيه (فصوص الحكم) و(الفتوحات المكية) وان كل ما يعود لصدر الدين الشيرازي هو تشييد الابنية البرهانية لمقولات الشيخ الاكبر وامهات افكاره، بحيث لم يكن كتاب (الحكمة المتعالية) الا صيغة برهانية لمقولات ابن عربي وافكاره.

الدال في هذه الشهادات، انها باجمعها تنتمي الى رموزكبيرة من ممثلي مدرسة (الحكمة المتعالية) الذين سبروا بواطنها، وغاصوا اغوارها، واحاطوا بخفاياها باستاذية لامعة يشهد لهم بها الجميع.

بعض هؤلاء اختار منهجا تحليليا تطبيقيا لكتاب (الحكمة المتعالية) مثل الباحث الشيخ حسن حسن زاده آملي، الذي راح يفكك نصوص صدر الدين الشيرازي ويرجع محتوياتها الى اصولها في كتابات ابن عربي، فانتهى بعد مش يناهز العشرين عاما من البحث التنقيبي الى ما يلي: ((ان جميع المباحث الرفيعة والعرشية للاسفار منقولة منةالفصوص والفتوحات وبقية الصحف القيمة والكريمة

للشيخ الاكبروتلاميذه بلا واسطة او مع الواسطة)) ثم يقول: ((اذا ما اعتبرنا كتاب الاسفار الكبير مدخلا او شرحا للفصوص والفتوحات فقد نطقنا بالصواب)).

كما يقول ايضا في واحدة من الحصائل التي انتهت اليها دراسته: «ان صدر المتألهين نفسه يذكر اسم ذلك العظيم باجلال، كما يذكر صحفه العلمية، وهو يفعل ذلك بخشوع وتواضع لايضارع بكر احد من اكابر العلماء ومشايخ اهل التحقيق، واعاظم اهل الكشف والشهود، ولا يثني على احد كما يثني عليه لانه يعرف افضل من أي شخص آخر ان اساس حكمته النتعالية الفتوحات والفصوص، وما اسفاره العظيمة الا شرح تحقيقي لهما».

مع انه يشير الى ان هذا المعنى لايخفى على أي متضلع بالحكمة المتعالية من جهة، وبالكتب العرفانية الاصيلة على رأسها الفصوص والفتوحات من جهة اخرى، الا انه يورد عددا من الشواهد التي اخذها صدر المتالهين عن الشيخ الاكبروعرضها باسفاره بعد ان كساها ثوب البرهان.

من الشواهد التي يذكرها، قاعدة (بسيط الحقيقة كل الاشياء وليس بشئ منها) التي اشاد صدر الدين الشيرازي على اساسها برهانه في اثبات مبدء العلم الالهي التفصيلي بالاشياء قبل الايجاد، وهو العلم الاجمالي في عين الكشف التفصيلي.

ينظر دو مين يادنامه علامة طباطبائي] الكتاب التذكاري الثاني للعلامة الطباطبائ [طهران ١٩٨٤، بحث الشيخ حسن حسن زادة آملي المعنون: (العرفان والحكمة المتعالية)، ص٣٦، ١٦ بالفارسية.

اما الشيخ جوادي آملي الذي يعد ابرز ممثلي مدرسة الحكمة المتعالية في حوزة قم المعاصرة ان لم يكن ابرزهم على الاطلاق، فهو يعتقد ان النصاب التام لما ذكره الفخر الرازي في ابن سينا من انه: «ما سبقه اليه من قبله ولا لحقه من بعده» هو الشيخ ابن عربي الذي يقول فيه: «لا يرقى اليه احد من بين معاريف اهل العرفان، ولاله نظير منذ عصره حتى الان.... لان جميع ما قاله الاخرون وكتبوه بالعربية والفارسية، نثرا كان او نظما في الماضي والحاضر يعد بضعة نسبة الى بحر محي الدين المواج»

ثم يتحدث عن المسافة العلمية بين الشيخ الاكبر من جهة وبين شيخ الاشراق وصدر المتالهين من جهة اخرى، فيقول نصا: «ان المسافة العلمية التي تفصل ابن عربي عن شيخ الاشراق (رحمه الله) شاسعة، وعن صدر المتالهين (قدس سره) ليست قليلة، الذي يشهد على ذلك ما يبديه صدر المتالهين لمحي الدين من احترام غير متناه، مما لايدانيه فيما يفعله مع أي حكيم او عارف آخر، ذلك لان الكثير من مباني الحكمة المتعالية مدينة الى العرفان الذي ارسى قواعده المعروفة ابن عربي نفسه». ينظر: رسالة القرآن، اية الله عبد الله

جوادي آملي، مؤسسة رجاء الثقافية، طهران ١٩٩١، ص١٠٧، بالفارسية

ثم شهادة اوقع اثرا تعود لاستاذ السيد محمد حسين الطباطبائي، السيد علي القاضي التبريزي، يقول فيها نصا عن مقام ابن عربي: «ان احدا من الرعية لم يبلغ الى ما بلغه محي الدين بن عربي في المعارف العرفانية والحقائق النفسانية، بعد مقام العصمة والامامة»

ثم ينعطف موضحا تاثير ابن عربي المطلق على صدر الدين الشيرازي فيقول: «كل ما لدى ملا صدرا هو من محي الدين، وقد جلس على مائدته». الكتاب التذكاري، مصدر سابق ص٤١.

اما العلامة الطباطبائي فيعتقد انه: «لم يستطع احد في الاسلام ان ياتي بسطر واحد(مما كتبه) محي الدين»

ينظر المنظومة، الشرح التفصيلي الشهيد مرتضى مطهري،الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ هامش صفحة ٢٣٩، بالفارسية.

كما ان الشيخ مرتضى مطهري نفسه يسجل: «ان الملا صدرا لايتواضع لاحد كما يتواضع لمحيي الدين، وهو يعد ابن سينا لاشئ مقابل محيي الدين. المصدر السابق، هامش ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

تفيد هذه الشهادات اجمالا ان الجذور المعرفية لصدر الدين الشيرازي تعود الى الشيخ ابن عربي، ولو قدر لهذه النقطة ان تثرى بالمزيد من الدراسات التحليلية والتطبيقية لعاد ذلك بالنفع الجليل

على حركة الفكر الفلسفي و العرفاني بما يحفظ لكل رمز انجازه ودائرة ابداعه دون بخس او تضخيم.

اجل يبدو ان احدا من الدارسين لايختلف في ان صدر الدين سعى الى تاسيس العرفان على البرهان، ومن ثم سعى على ان ترتدي مقولات ابن عربي وافكاره ثوبا برهانيا، لكن هل يعني ذلك ان آثار الشيخ الاكبر تخلو من الاستدلال البرهاني تماما!»[١].

وقد اضاف الحيدري في كتابه الاخر (العرفان الشيعي) قائلا: واما العارف فلا علاقة له بالفهم والعقل وادراك المفاهيم والصور، بل غايته التي يسعى للوصول اليها هو مشاهدة جمال الحق وشهود حقائق هذا العالم على ما هي عليه وليس الكمال الذي يبتغيه هو تحصيل صور هذه الاشياء) ومن هذا نعرف ان ملا صدرا هو المُنَظر لمشاهدات ابن عربي وبتعبير الحيدري هو من (سعى على ان ترتدي مقولات ابن عربي وافكاره ثوبا برهانيا) وانبه هنا الى ما ذكره الحيدري نقلا عن القيصري من (ان اهل الله انما وجدوا هذه المعاني بالكشف واليقين لا بالظن والتخمين، وما ذكر فيه مما يشبه الدليل والبرهان انما جئ به تنبيها للمستعدين من الاخوان)[٢] فما يذكرونه مصدره الكشف وهو قعقعة ليس وراها شئ بل فرية كبرى كما قد نتعرض له والله المستعان.

١ـ التوحيد للسيد كمال الحيدري ج١ص٢٢٩.

٢ـ العرفان الشيعي ص٢٢.

بل ان شيخهم الاكبر ابن عربي يقول ـ كما نقله الحيدري في عرفانه: «ان اهل الافكار اذا بلغوا فيها الغاية القصوى اداهم فكرهم الى حال المقلد المصمم، فان الامر اعظم من ان يقف فيه الفكر فما دام الفكر موجودا فمن المحال ان يطمئن ويسكن، فللعقول حد تقف عنده من حيث قوتها في التصرف الفكري..)»[١].

ثانيا: موقف علماء الشيعة من ابن عربي

١ـ الشيخ علي النمازي: «محي الدين العربي من كبار الصوفية الذي هو في الحقيقة مميت الدين. وبالجملة أراجيفه واضحة من كتبه مثل فصوص الحكم، والفتوحات المكية. منها: قوله في أول الفتوحات: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها - الخ. ومنها: قوله في الفصوص في فص حكمة سبوحية في كلمة نوحية: إعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزه إما جاهل وإما صاحب سوء - إلى أن قال: فالحق محدود بكل حد لأن كل ما هو محدود بحد مظهر من مظاهره، ظاهره من اسمه الظاهر وباطنه من اسمه الباطن، والمظهر عين الظاهر باعتبار الأحدية - إلى أن قال: - فهو المثنى والمثنى عليه. فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا × وإن قلت بالتشبيه كنت محددا وإن قلت بالأمرين كنت مسددا × وكنت إماما في المعارف سيدا إلى أن قال: - فلو أن نوحا جمع

١ـ العرفان الشيعي ص٢٠.

لقومه بين الدعوتين لأجابوه - إلى أن قال: فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان والأمر قران لا فرقان. إلى أن قال: - × (مما خطيئاتهم) × فهي التي خطت بهم، فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة × (فادخلوا نارا) × في عين الماء - إلى أن قال: × (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) × فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد. إلى أن قال: - وإن كان الكل لله وبالله بل هو الله - الخ. وقال في فص هارونية: فكانت عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شئ، بل يراه عين كل شئ. وقال في تفسير سورة النساء في قوله تعالى: × (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) × أما اليهود فبالتعمق في الظاهر ونفي البواطن وحط عيسى عن درجة النبوة ومقام الإتصاف بصفات الربوبية. فأما النصارى فبالتعمق في البواطن ونفي الظواهر، ورفع عيسى إلى مقام الالوهية. × (ولا تقولوا على الله إلا الحق) × بالجمع بين الظواهر والبواطن والجمع والتفصيل - إلى أن قال: - × (ولا تقولوا ثلاثة) × بزيادة الحياة والعلم على الذات فيكون الإله ثلاثة أشياء - الخ. وفي سورة نوح: × (لا تذرن آلهتكم) × أي معبوداتكم التي عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذي عبدتموه بشهواتكم وأحببتموه، وسواع النفس ويغوث الأهل ويعوق المال ونسر الحرص. × (مما خطيئاتهم اغرقوا) × في بحر الهيولى - الخ.

وفي سورة الكوثر: × (إنا أعطيناك الكوثر) × أي معرفة الكثرة بالوحدة وعلم التوحيد التفصيلي، وشهود الوحدة في عين الكثرة بتجلي الواحد الكثير والكثير الواحد - الخ. مات ٢٢ ربيع الأول سنة ٦٣٨»[١].

وقال: ابن العربي: هو محي الدين، صاحب الفتوحات المكية والفصوص، من أركان المتصوفة، له دعاوي فاسدة وكلمات مضلة، ذكرنا بعضها في كتابنا «تاريخ فلسفه وتصوف». وتقدم شطر منها في «حيى» بعنوان محي الدين. مات سنة ٦٣٨، وله ذموم وخرافيات، كما في البحار[٢].

٢ـ السيد حسن الصدر الكاظمي: «أن التصوف علم فيه كتب لا يخفى على أهل العلم رجاله، ولهم طرق عددها المقدس الاردبيلي في حديقة الشيعة. أين هم من علمائنا؟ وهل فينا من يقول بوحدة الوجود ولا صوفي الا يقول بها، فانظر منازل السائرين والرسالة القشيرية ورسائل ابن عربي والحلاج والجنيد والعطار وخواجة عبد الله وأمثالهم. أولئك الصوفية لا الشهيد وابن فهد والبهائي وأبيه من حكماء الدين وشيوخ المتشرعين»[٣].

١ـ مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي ج ٢ ص ٥٠٠.

٢ـ مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي ج ٧ ص ١٤٤.

٣ـ تكملة أمل الآمل- السيد حسن الصدر ص ١٨٣.

٣ـ قال السيد محمد باقر الخوانساري صاحب الروضات: «ثم ان صاحب المجالس اخذ في تاويل كلماته الكفرية، مثل قوله بوحدة وجود الخالق والمخلوق، وكون عبادة الاصنام هي عبادة الله، وان رسل الله يستفيدون المعرفة من خاتم الاولياء وان الكفار غير مخلدين في النار وغير ذلك، ولو كان الامر كذلك لما بقي على وجه الارض كافر ولا هالك ولا جاز اظهار البرائة من احد من اهل الممالك في شئ من المسالك، وهذا ما لا يقوله احد من المليين، فكيف بمن كان من اتباع النبيين ومسافري العليين»[1].

٤ـ قال المرجع الديني الكبير اية الله الشيخ محمد اسحاق الفياض (دام ظله): «سمعنا ان في هذه الحوزة المباركة يدرس العرفان على ضوء كتاب ابن العربي وهذا خطر على الحوزة ولا سيما على شبابنا فان كتاب ابن العربي كل من قرء هذا الكتاب يعتقد بانه زنديق و لا ايمان له بالله تعالى وتقدس... ومن هنا يكون هذا الدرس خطر على الحوزة ولا سيما على شبابنا..»[2].

٥ـ الف السيد جعفر مرتضى العاملي كتابا في رده وفضحه باسم (ابن عربي سني متعصب).

١ـ روضات الجنات للخوانساري ج ٨ ص ٦١.

٢ـ كلمة توجيهية للشيخ الفياض في اخر درس له في ذي الحجة سنة ١٤٣٢هـ.

٦ـ ورد مطالبه في كتاب ايضا السيد عباس المدرسي اليزدي في كتاب بعنوان «محي الدين ابن عربي».

وهناك غير من ذكرنا لسنا بصدد استقصائهم.

الامر الثاني: ونذكر فيه شواهد مخالفة بعض نتائج هذه الفلسفة لقطعي الدين

اولا: القول بوحدة الوجود

قال ملا صدرا «فكما وفقني الله تعالى بفضله ورحمته الاطلاع على الهلاك السرمدي والبطلان الازلي للماهيات الامكانية والاعيان الجوازية فكذلك هداني ربي بالبرهان النير العرشي الى صراط مستقيم من كون الموجود والوجود منحصرا في حقيقة واحدة شخصية لا شريك له في الموجودية الحقيقية ولا ثاني له في العين، وليس غيره في دار الوجود ديار»[١].

مزيد بيان

قد يقال ان وحدة الوجود التي يؤمن بها العارف تتلائم مع معطيات الفكر الاسلامي وضروريات العقل والدين وليس مرادهم الوحدة الحقيقية بمعنى ان لا وجود حقيقة الا لله تعالى... ولكن لنبق مع المطهري ليبين لنا عقيدة القوم في وحدة وجودهم المزعومة.

١ـ الاسفار ج٢ ص٢٩٢.

يقول المطهري: «فمسالة وحدة الوجود ذات اصل عرفاني، وما ذكره ملا صدرا في فلسفته حول وحدة الوجود قد استعاره من العرفان، وليست المسالة من ابداعات ملا صدرا كما قد يعتقد.

وقد تمكن ملا صدرا من تأسيس قواعد فلسفية لهذه المسالة، كما صاغها صياغة فلسفية لتدخل الدراسات الفلسفية بعد ان كانت حكرا على العرفان.

ويلاحظ ان ملا صدرا عندما يبحث مسائل الوجود يبحثها احيانا تحت عنوان نقاوة وهذا يعني انه يريد ان ينقي كلام غيره ويخلصه من الشوائب وكثيرا ما يكون كلامه في هذه النقاوات هو عين ما يقوله القيصري في شرحه لكتاب فصوص الحكم اي ان نقاوة كلامة هي خلاصة من مقدمة فصوص الحكم»[1].

ثم يقول المطهري في هامش الصفحة ١٦٥ في جواب سؤال هو: هل الوحدة التي يقول بها العرفاء وحدة وهمية؟ فقال ضمن الجواب: «والعرفاء الحقيقيون يريدون ان يقولوا ان الحقيقة هي وحدة الوجود ولم يقبلوا التوجيه السابق للمسالة (وهو ان الوحدة وحدة شهود) بل يصرون على ان الوحدة حقيقية، وليست في نظر العارف فقط وانه لا يريد ان يرى سوى الحق سبحانه وان كانوا لم يفصحوا

١ـ بحوث موسعة في شرح المنظومة ج ١ ص ١٦٥ ، ويلاحظ ان صدرا عنون احدى مناقشاته للمتكلمين بعنوان (اهانة) وهذا ينم عن سمو اخلاق هذا العارف الكبير وموقفه الرائع من العلوم الدينية!!!! انا لله وانا اليه راجعون.

عن ذلك بصراحة ولكن يمكن استنباط مقصودهم من مجموع تعبيراتهم في هذا المجال وهو انهم يقصدون الوحدة الحقيقية للوجود»[1].

ثانيا: انكار خلود الكفار في العذاب

قال ملا صدرا «ولك ان تقول وقد قام الدليل العقلي على ان الباري سبحانه لا ينفعه الطاعات ولا يضره المخالفات وان كل شئ جار بقضائه وقدره وان الخلق مجبورون في اختيارهم فكيف تسرمد العذاب عليهم وجاء في الحديث «واخر من يشفع هو ارحم الراحمين» فالايات الواردة في حقهم بالتعذيب كلها حق وصدق وكلام اهل المكاشفة لا ينافيها لان كون الشئ عذابا من وجه لا ينافي كونها رحمة من وجه اخر فسبحان من اتسعت رحمته لاوليائه فس شدة نقمته في الدنيا واشتدت نقمته لاعدائه في سعة رحمته لهم في الاخرة»[2].

ثالثا: انكار العلية والمعلولية

قال ملا صدرا في المشاعر: «فما وضعناه أولا بحسب النظر الجليل من أن في الوجود علة ومعلولا أدى بنا أخيرا من جهة السلوك العلمي والنسك العقلي إلى أن المسمى بالعلة هو الأصل

١ـ بحوث موسعة في شرح المنظومة ج ١ ص ١٦٥ الهامش.

٢ـ الاسفار ج٩ ص٣٥٣.

والمعلول شأن من شؤونه وطور من أطواره. ورجعت العلية والإفاضة إلى تطور المبدأ الأول بأطواره وتجليه بأنحاء ظهوراته»[١].

رابعا: دعوى امكان التفكر في الذات المقدسة الالهية واباحته للفلاسفة

«في اصول الكافي بإسناده إلى سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله يقول: «وإن إلى ربك المنتهى» فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا. أقول: وهو من التوسعة في معنى الانتهاء. وفيه بإسناده إلى أبى عبيدة الحذاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا زياد إياك والخصومات فإنها تورث الشك، وتحبط العمل، وتردي صاحبها، وعسى أن يتكلم بالشئ فلا يغفر له. إنه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلوا به، وطلبوا علم ما كفوه حتى انتهى كلامهم إلى الله فتحيروا حتى كان الرجل يدعى من بين يديه فيجيب من خلفه، ويدعى من خلفه فيجيب من بين يديه. قال: وفي رواية اخرى: حتى تاهوا في الارض. وفي الدر المنثور أخرج أبو الشيخ عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا.

أقول: وفي النهي عن التفكر في الله سبحانه روايات كثيرة أخر

١ـ كتاب المشاعر – صدر الدين محمد الشيرازي – ص ١٠٤.

مودعة في جوامع الفريقين، والنهي إرشادي[1] متعلق بمن لا يحسن الورود في المسائل العقلية العميقة فيكون خوضه فيها تعرضا للهلاك الدائم»[2].

خامسا: القول بان المعاد منحصر بالروحاني

قال الشيخ محمد تقي املي: «(اقول) هذا غاية ما يمكن ان يقال في هذه الطريقة ولكن الانصاف انه عين انحصار المعاد في الروحاني لكن بعبارة اخفى فانه بعد فرض كون شيئية الشئ بصورته وان صورة ذات النفس هو نفسه وان المادة الدنيوية لمكان عدم مدخليتها في قوام الشئ لا يحشر وان المحشور هو النفس غاية الامر اما مع انشائها لبدن مثالي قائم بها قياما صدوريا مجردا عن المادة ولوازمها الا المقدار كما في نفوس المتوسطين من اصحاب الشمال او اصحاب اليمين واما بدون ذلك ايضا كما في المقربين. (ولعمري) ان هذا غير مطابق مع ما نطق عليه الشرع المقدس على صادعه السلام والتحية.

١ـ هذا من اغرب ما يقراءه المرء فيقف عنده مندهشا اذ مراجعة اخبار الباب التي اعترف المصنف باستفاضتها بين الفريقين يعطي النهي الجاد الحازم المطلق، ولم يرد ما يخصصه بغير اصحاب الفلسفة، بل هو يقول انه ارشادي لغير اهل المعقول!! فمن اين وصل الى هذه النتيجة؟ وبالله عليك ـ قارئي الكريم ـ ماذا يفعل من اراد النهي عن شئ اكثر من ان يضع هذه المناهي امام المكلفين. والحاصل ان النهي مولوي لم يخصص والله المستعان.

٢ـ تفسير الميزان – السيد الطباطبائي ج ١٩ ص ٥٣.

وانا اشهد الله وملائكته وانبياءه ورسله اني اعتقد في هذه الساعة وهي ساعة الثلاث من يوم الاحد الرابع عشر من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٦٨ في امر المعاد الجسماني بما نطق به القران الكريم واعتقد به محمد صلى الله عليه واله والائمة المعصومون صلوات الله عليهم اجمعين وعليه اطبقت الامة الاسلامية و لا انكر من قدرة الله شيئا»[١].

سادسا: دعوى ان الارادة من صفات الذات

قال السيد هاشم الحسيني الطهراني في ما علقه على كتاب التوحيد للشيخ الصدوق (قدس سره) ص٣٢٨ في تعليقته على الحديث الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال: المشيئة محدثة، قال معقبا: ومشيئة الله تعالى تارة تؤخذ باعتبار تعلقها بافعاله تعالى فهي عند الحكماء واكثر المتكلمين قديمة من صفات الذات وعند ائمتنا صلوات الله عليهم وبعض المتكلمين كالمفيد رحمه الله حادثة من صفات الفعل..

سابعا: القول بالتجسيم

قال ملا صدرا في شرحه على اصول الكافي ج٣ ص ٢٠٦و٢٠٧: «ان ماهية الجسم ومعناه، يعني الجوهر القابل للابعاد، له انحاء من الوجود بعضها اخس وادنى وبعضها اشرف واعلى.... (ثم

١ـ درر الفوائد ج٢ ص٤٦٠.

يقول في اخر كلامه): «فاذا تصورت هذه المعاني وانتقشت في صفحة خاطرك علمت ان المعنى المسمى بالجسم له انحاء من الوجود متفاوتة بالشرف والخسة والعلو والدنو من لدن كونه طبيعيا الى كونه عقليا، فليجز ان يكون في الوجود جسم الهي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير المسمى بالاسماء الالهية المنعوت بالنعوت الربانية...».

قال السيد الخوئي (قدس سره): «والعجب عن صدر المتألهين حيث ذهب إلى هذا القول في شرحه على الكافي (الحديث الثامن من الباب الحادي عشر من كتاب التوحيد) وقال ما ملخصه: انه لامانع من التزام انه سبحانه جسم إلهي فان للجسم أقساما «فمنها»: جسم مادي وهو كالاجسام الخارجية المشتملة على المادة لا محالة. و «منها» جسم مثالي وهو الصورة الحاصلة للانسان من الاجسام الخارجية وهي جسم لامادة لها. و «منها»: جسم عقلي وهو الكلي المتحقق في الذهن وهو أيضا مما لامادة له بل وعدم اشتماله عليها أظهر من سابقه. و «منها»: جسم إلهي وهو فوق الاجسام باقسامها وعدم حاجته إلى المادة أظهر من عدم الحاجة إليها في الجسم العقلي و «منها»: غير ذلك من الاقسام ولقد صرح بان المقسم لهذه الاقسام الاربعة هو الجسم الذي له ابعاد ثلاثة من العمق والطول والعرض. وليت شعري ان ما فيه هذه الابعاد وكان عمقه غير طوله وهما غير

عرضه كيف لا يشتمل على مادة ولايكون متركبا حتى يكون هو الواجب سبحانه؟!»[١].

ثامنا: تفسير ملا صدرا للايجاد والمعاد

«وايجاده للاشياء اختفاؤه فيها مع اظهاره اياها واعدامه لها في القيامة الكبرى ظهوره بوحدته وقهره اياها بازالة تعيناتها وسماتها وجعلها متلاشية. كما قال (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار...)[٢] و (... وكل شئ هالك الا وجهه..)[٣]»[٤].

١ـ كتاب الطهارة – السيد الخوئي ج ٢ ص ٧٨.

٢ـ غافر ـ ١٦.

٣ـ القصص ـ ٨٨.

٤ـ الاسفار ج ١ ص ٢٥٩.

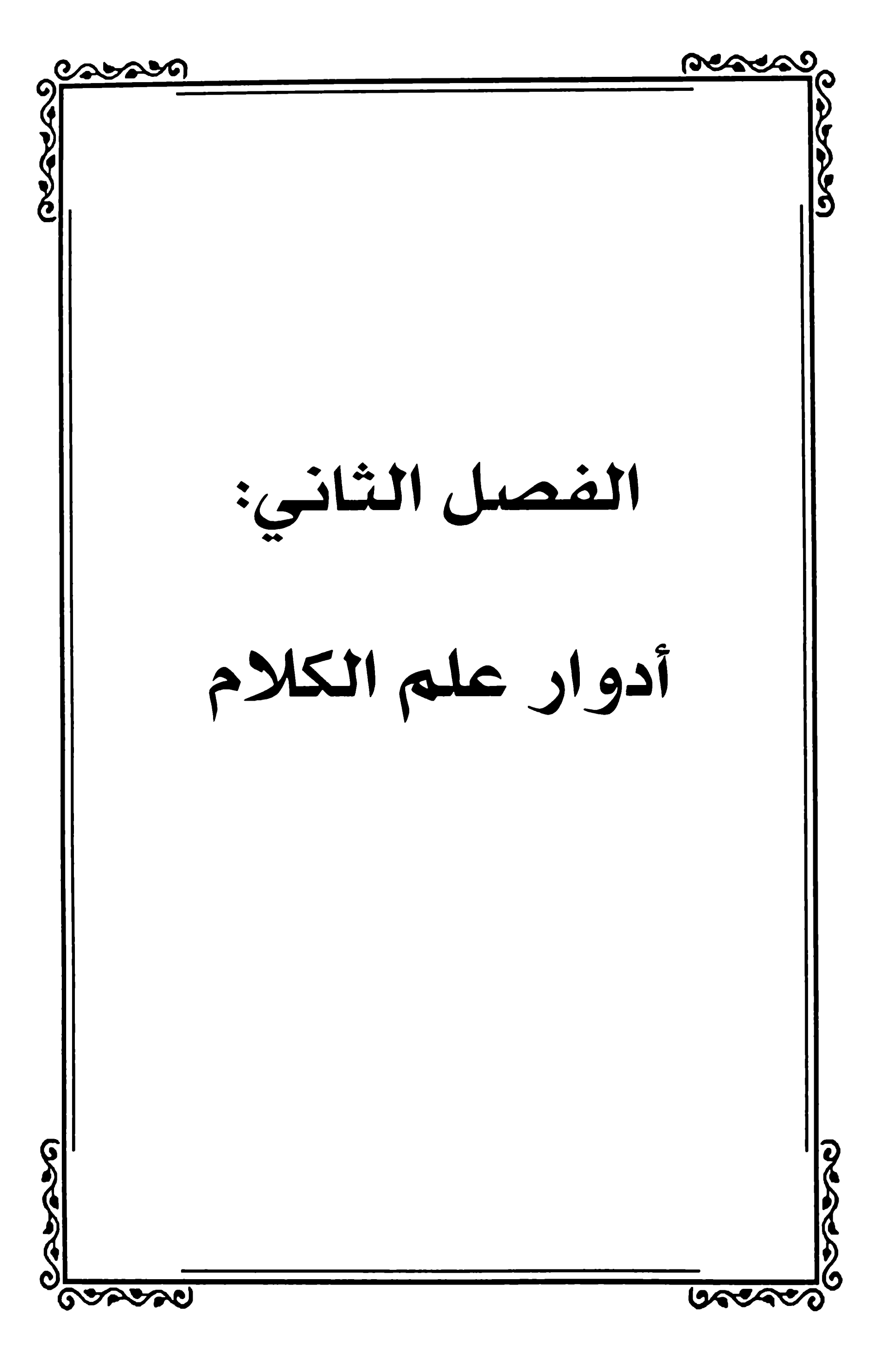
خاتمة الفصل الاول

بعدما تقدم من بيان مناهج علم الكلام نجد ان المنهج الصحيح هو المنهج التعقلي في النصوص الشريفة، وللوصول الى ذلك لا بد من بيان امرين[١]:

الاول: تحديد المسلك العلمي الذي يتوفر على بيان ما يمكن اتباعه من النصوص وليس الامر متروكا للرجوع الى كل خبر نسب الى الائمة (صلوات الله عليهم).

الثاني: التوفر على مقدمات فهم النص الديني المتمثلة بفهم اللغة العربية فهما دقيقا، كما لا بد من متابعة دقيقة لما عليه الامامية من الاعتقادات واستيضاح منهج الاصحاب في المسائل العقائدية لا سيما في عصر النص واوائل الغيبة الكبرى.

١ـ سياتي الكلام عنهما بشيء من التفصيل في الفصل الثالث.



الفصل الثاني:

أدوار علم الكلام

الدور الاول

دور النص، ويبدء مع بدء الدعوة الاسلامية حيث مثل القران الكريم موسوعة النص العقائدي الاولى وهو كلام الله تعالى وهو احسن الكلام.

ثم اخبار الرسول الاعظم والأئمة الهداة (صلوات الله عليهم) الذين أثروا الساحة المعرفية بالكثير من البيانات حول المعارف الايمانية، وقد وصل الينا تراثهم من خلال رواة احاديثهم الثقاة، كما سنبينه قريبا.

مميزاته

واهم مميزات هذا الدور هو انه مستقى من المنابع الاصلية الصافية التي لم تشبها المدارس البشرية بعندياتها البعيدة عن الواقع الاسلامي الاصيل.

من علماء الدور الاول

١ـ قيس الماصر

متكلم شيعي لا نعرف عنه الكثير، قال عنه يونس بن يعقوب انه تعلم الكلام من الامام علي بن الحسين (صلوات الله عليهما) وكان يونس يرى انه افضل من مثل حمران ومحمد بن النعمان الاحول وهشام بن سالم[١]، وقال له الامام الصادق (صلوات الله عليه) «انت والاحول قفازان ماهران»[٢].

ونجد ان الامام (صلوات الله عليه) في تقييمه لقيس في المناظرة التي روى قصتها يونس بن يعقوب يقول الامام (صلوات الله عليه): «تتكلم واقرب ما تكون من الخبر عن الرسول صلى الله عليه واله ابعد ما تكون عنه...»[٣]، وذلك لان المعيار في صحة الكلام وتسويغه هو مطابقته لما افاده الحجة (صلوات الله عليه).

ويبدو ان قيسا له اصحاب وتلامذة ففي الخبر عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الادب

١ـ الكافي ج١ ص ١٧١.

٢ـ الكافي ج١ ص ١٧٣.

٣ـ الكافي ج١ ص ١٧٣.

قال: «إنك لعلى خلق عظيم»، ثم فوض إليه أمر الدين والامة ليسوس عباده، فقال عز وجل: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسددا موفقا مؤيدا بروح القدس، لا يزل ولا يخطئ في شئ مما يسوس به الخلق، فتأدب بآداب الله ثم إن الله عز وجل فرض الصلاة ركعتين، ركعتين عشر ركعات فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركعتين ركعتين وإلى المغرب ركعة فصارت عديل الفريضة لا يجوز تركهن إلا في سفر وأفرد الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر فأجاز الله عزوجل له ذلك فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة، ثم سن رسول الله صلى الله عليه وآله النوافل أربعا وثلاثين ركعة مثلي الفريضة فأجاز الله عزوجل له ذلك والفريضة والنافلة إحدى وخمسون ركعة منها ركعتان بعد العتمة جالسا تعد بركعة مكان الوتر وفرض الله في السنة صوم شهر رمضان وسن رسول الله صلى الله عليه وآله صوم شعبان وثلاث أيام في كل شهر مثلي الفريضة فأجاز الله عزوجل له ذلك وحرم الله عزوجل الخمر بعينها وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله المسكر من كل شراب فأجاز الله له ذلك كله وعاف رسول الله صلى الله عليه وآله أشياء وكرهها ولم ينه عنها نهي حرام إنما نهى عنها نهي اعافة وكراهة، ثم رخص فيها فصار الاخذ برخصه واجبا على العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزائمه ولم يرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وآله فيما نهاهم عنه نهي حرام

ولا فيما أمر به أمر فرض لازم فكثير المسكر من الاشربة نهاهم عنه نهي حرام لم يرخص فيه لاحد ولم يرخص رسول الله صلى الله عليه وآله لاحد تقصير الركعتين اللتين ضمهما إلى ما فرض الله عزوجل، بل ألزمهم ذلك إلزاما واجبا، لم يرخص لاحد في شئ من ذلك إلا للمسافر وليس لاحد أن يرخص [شيئا] ما لم يرخصه رسول الله صلى الله عليه وآله، فوافق أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الله عزوجل ونهيه نهي الله عزوجل ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى.

ومن هذا الخبر الذي تظمن مطالب سامية ومعرفة عالية نستطيع القول ان قيسا ربى جيلا من الشيعة مؤهلين لتلقي مثل هذه المعارف فلله دره وعليه اجره.

اولاده: ذكر له ولدان عبد الله وعمر او عمرو والظاهر انهما ليسا على مسلك ابيهما فالثاني بتري كما صرح به الشيخ الطوسي (قدس سره) في رجاله ص ١٤٢.

٢ـ حمران بن أعين

الشيباني مولاهم، متكلم شيعي، تابعي[١] قال له الامام الباقر (صلوات الله عليه): «انت من شيعتنا في الدنيا والاخرة»[٢] وهو من قراء القرآن المتقنين قرء عليه حمزة[٣]

وهو من بيت شيعي عريق اخرج جملة من اعلام التشيع منهم عبد الملك و زرارة وبكير، ولقي حمران الامام السجاد علي بن الحسين (صلوات الله عليهما).

ومن خلال مراجعة رواياته في اوثق كتب الشيعة كالكافي والبصائر وغيرها نعرف انه من اصحاب العلم والمعارف ممن كانوا ثقات الائمة الهداة (صلوات الله عليهم) فعلموه المعارف الايمانية الدقيقة.

ولما مات حمران ذكر عند ابي عبد الله (صلوات الله عليه) فقال «مات والله مؤمنا»[٤].

١ـ رجال الطوسي ص١٣٢و١٩٤.

٢ـ الخلاصة للعلامة الحلي ص ١٣٥.

٣ـ اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي ج ١ ص ٤٥.

٤ـ خلاصة الاقوال للعلامة الحلي ج١٣٥.

٣ـ هشام بن الحكم

متكلم شيعي صلب الايمان واسع المعرفة له يد طولى في نشر الحق والدفاع عنه، تعلم من الامام الصادق (صلوات الله عليه) المعارف الايمانية الدقيقة فكان من افضل اصحابه فيها.

قال عنه النجاشي: «هشام بن الحكم أبو محمد، مولى كندة. وكان ينزل بني شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة ويقال: إن (إنه) في هذه السنة مات. له كتاب يرويه جماعة. أخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال: حدثنا علي بن حاتم قال: حدثنا ابن ثابت قال: حدثنا عبيدالله بن أحمد بن نهيك عن ابن أبي عمير عنه بكتابه وكتابه علل التحريم، كتابه الفرائض، كتابه الامامة، كتابه الدلالة على حدث الاجسام، كتابه الرد على الزنادقة، كتابه الرد على أصحاب الاثنين، كتابه التوحيد، كتابه الرد على هشام الجو اليقي، كتابه الرد على أصحاب الطبائع، كتابه الشيخ والغلام في التوحيد، كتابه التدبير في الامامة وهو جمع علي بن منصور من كلامه –، كتابه الميزان، كتابه في إمامة المفضول، كتابه الوصية والرد على منكريها، كتابه الميدان، كتاب اختلاف الناس في الامامة، كتابه الجبر والقدر، كتابه الحكمين، كتابه الرد على المعتزلة وطلحة والزبير، كتابه القدر، كتابه الالفاظ، كتابه الاستطاعة، كتابه المعرفة، كتابه الثمانية أبواب، كتابه على شيطان الطاق، كتابه الاخبار، كتابه الرد على المعتزلة، كتابه الرد

على ارسطاليس (ارسطاليس) في التوحيد، كتابه المجالس في التوحيد، كتابه المجالس في الامامة. وأما مولده فقد قلنا الكوفة، ومنشأه واسط، وتجارته بغداد. ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح. وروى هشام عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، وكان ثقة في الروايات، حسن التحقيق بهذا الامر»[١].

ومن تلامذته: «محمد بن الخليل (خليل) أبو جعفر السكاك بغدادي يعمل السكك صاحب هشام بن الحكم وتلميذه أخذ عنه. له كتب، منها: كتاب في الامامة وكتاب سماه التوحيد وهو تشبيه وقد نقض عليه»[٢].

وله ولد متكلم قال عنه النجاشي: «حكم بن هشام بن الحكم أبو محمد مولى كندة، سكن البصرة، وكان مشهورا بالكلام، كلم الناس، وحكي عنه مجالس كثيرة، ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله أنه رأى له كتابا في الامامة»[٣].

والظاهر ان هشاما كان من العلماء المتكلمين الكبار فقد الف في مجالسه علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار ـ وهو متكلم كبير ـ كتاب مجالس هشام بن الحكم[٤].

١ـ رجال النجاشي- النجاشي ص ٤٣٣.
٢ـ رجال النجاشي- النجاشي ص ٣٢٨.
٣ـ رجال النجاشي- النجاشي ص ١٣٦.
٤ـ رجال النجاشي- النجاشي ص ٢٥١.

٤ـ محمد بن النعمان

قال عنه النجاشي: «محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريقة البجلي مولى، الاحول أبو جعفر، كوفي، صيرفي، يلقب مؤمن الطاق وصاحب الطاق، ويلقبه المخالفون شيطان الطاق - وعم أبيه المنذر بن أبي طريفة روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام. وابن عمه الحسين بن المنذر (منذر) بن أبي طريفة روى أيضا عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام - وكان دكانه في طاق المحامل بالكوفة فيرجع إليه في النقد فيرد ردا يخرج كما يقول فيقال شيطان الطاق. فأما (وأما) منزلته في العلم وحسن الخاطر فأشهر، وقد نسب إليه أشياء لم تثبت عندنا، وله كتاب افعل لا تفعل، رأيته عند أحمد بن الحسين بن عبيدالله رحمه الله كتاب كبير حسن، وقد أدخل فيه بعض المتأخرين أحاديث تدل فيه على فساد...، ويذكر تباين أقاويل الصحابة. وله كتاب الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبي حنيفة والمرجئة، وكانت له مع أبي حنيفة حكايات كثيرة، فمنها أنه قال له يوما يا [أ] با جعفر تقول بالرجعة؟ فقال له: نعم، فقال له: أقرضني من كيسك هذا خمس مائة دينار فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك فقال له في الحال: اريد ضمينا يضمن لي

أنك تعود إنسانا فاني أخاف أن تعود قردا فلا أتمكن من استرجاع ما أخذت مني»[١].

٥ـ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي

وهو المعروف بالشيخ الصدوق وله الباع الطويل في الحديث وكتابه من لا يحضره الفقيه من كتب الشيعة التي عليها المدار من زمان تاليفه الى الان وهو من منابع العلم ورجالات الشيعة الكبار، وهو معروف مشهور من بيت علم وفضل ووالده «شيخ القميين في عصره ومتقدمهم، وفقيههم، وثقتهم»[٢] وللشيخ الصدوق (قدس سره) فضل كبير في وصول جملة وافرة من اخبار العترة الطاهرة (صلوات الله عليهم) ومن كتبه في العقيدة:

١ـ التوحيد.

٢ـ كمال الدين وتمام النعمة.

٣ـ كتاب النبوة[٣].

٤ـ الاعتقادات.

١ـ رجال النجاشي- النجاشي ص ٣٢٥.

٢ـ رجال النجاشي ـ النجاشي ص ٢٦١.

٣ـ المعروف ان هذا الكتاب لم يصلنا لضياع نسخته ولكن وصلنا من خلال كتاب قصص الانبياء للراوندي فقد تضمن روايات الشيخ الصدوق مع بعض الاضافات فراجع.

وغيرها والاخبار الاعتقادية متناثرة في كتبه المختلفه فانظر الخصال والعيون والعلل وغيرها.

وهو من الاعلام المحققين فقد عقب الابواب الروائية في كتابه التوحيد ببيانات عقلية مستنبطة من الاخبار الشريفة كما له مقدمة جيدة لكتاب كمال الدين وتمام النعمة فراجع لتجد انه من العلماء الاعلام المحققين رحمه الله وجزاه عنا خيرا.

وترجمه النجاشي فقال: «محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أبو جعفر، نزيل الري، شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن. وله كتب كثيرة ومات رضي الله عنه بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة»[١].

وبمراجعة كتب الرجال كرجال النجاشي واختيار معرفة الرجال وغيرها تجد ان هناك الكثير من علماء الشيعة هم متكلمون لهم الباع الطويل في تحقيق المذهب ونشر معارف الائمة الهداة (صلوات الله عليهم).

١ـ رجال النجاشي- النجاشي ص ٣٨٩.

من نتاجات الدور الاول

وصلت الى عصرنا هذا مجموعة وافرة من الاخبار الشريفة التي تمثل بمجموعها صورة واضحة عن المعارف الاعتقادية من منابعها الاصلية، وقد ضمتها كتب كثيرة منها:

١ـ بصائر الدرجات، للشيخ محمد بن الحسن الصفار.

٢ـ الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٣ـ مختصر بصائر الدرجات، والاصل للشيخ سعد بن عبد الله الاشعري اختصره الشيخ الحسن بن سليمان الحلي.

٤ـ الامامة والتبصرة من الحيرة، للشيخ علي بن موسى بن بابويه القمي.

٥ـ الغيبة، النعماني.

٦ـ التوحيد، للشيخ محمد بن علي بن موسى بن بابويه الصدوق القمي.

٧ـ عيون اخبار الرضا (صلوات الله عليه)، للشيخ محمد بن علي بن موسى بن بابويه الصدوق القمي.

الدور الثاني

مميزاته

واهم مميزاته الانفتاح الفكري على المدارس الاخرى، مما اثرى الحركة الشيعية بالكثير من الرؤى التي يسرت تفهم المدارس الاخرى له واعترافهم به.

من علماء الدور الثاني

١ـ محمد بن محمد بن النعمان

المعروف بالشيخ المفيد، وهو من اجلاء علماء الامامية ومن كبار مراجع الطائفة في بدايات عصر الغيبة الكبرى للامام الحجة ابن الحسن (صلوات الله عليه).

قال عنه النجاشي: «محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير بن وهيب بن هلال بن أوس

بن سعيد بن سنان بن عبدالدار بن الريان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن علة بن خلد بن مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان شيخنا واستاذنا رضي الله عنه.

فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم.

له كتب: الرسالة المقنعة، الاركان في دعائم الدين، كتاب الايضاح في الامامة، كتاب الافصاح في الامامة، كتاب الارشاد، كتاب العيون والمحاسن، كتاب الفصول من العيون والمحاسن، كتاب الرد على الجاحظ العثمانية، كتاب نقض المروانية، كتاب نقض فضيلة المعتزلة، كتاب المسائل الصاغانية، كتاب مسائل النظم، كتاب المسألة الكافئة في إبطال توبة الخاطئة، كتاب النقض على ابن عباد في الامامة، كتاب النقض على علي بن عيسى الرماني، كتاب النقض على أبي عبد الله البصري كتابه في المتعة، كتاب الموجز فيها، كتاب مختصر المتعة، كتاب مناسك الحج، كتاب مناسك الحج المختصر، كتاب المسائل العشرة في الغيبة، كتاب مختصر في الغيبة، كتاب مسألة في المسح على الرجلين، كتاب مسألة في نكاح الكتابيات، كتاب جمل الفرائض، كتاب مسألة في الارادة، كتاب مسألة في الاصلح، كتاب اصول الفقه، كتاب الموضح في الوعيد، كتاب كشف الالباس، كتاب كشف السرائر، كتاب الجمل، كتاب لمح البرهان،

كتاب مصابيح النور، كتاب الاشراف، كتاب الفرائض الشرعية، كتاب النكت في مقدمات الاصول، كتاب إيمان أبي طالب، كتاب مسائل أهل الخلاف، كتاب أحكام النساء، كتاب عدد الصوم والصلاة، كتاب الرسالة إلى أهل التقليد، كتاب التمهيد، كتاب الانتصار، كتاب الكلام في الانسان، كتاب الكلام في وجوه إعجاز القران، [كتاب] الكلام في المعدوم، كتاب الرسالة العلوية، كتاب أوائل المقالات.. وغيرها الكثير.

مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث [ليال] خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشره وأربع مائة، وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ست و ثلاثين وثلاثمائة، وصلى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بميدان الاشنان، وضاق على الناس مع كبره، ودفن في داره سنين، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد أبي جعفر عليه السلام، وقيل مولده سنة ثمان و ثلاثين وثلاثمائة»[١].

٢ـ علي بن الحسين

الشريف المرتضى علم الهدى، قال عنه النجاشي: «علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن

١ـ رجال النجاشي- النجاشي ص ٣٩٩.

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أبو القاسم المرتضى حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلما شاعرا أديبا، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا. صنف كتبا، منها: تفسير سورة الحمد وقطعة من سورة البقرة، تفسير قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، الكلام على من تعلق بقوله [تعالى] ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر، تفسير قوله [تعالى] ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا، كتاب الموضح عن جهة إعجاز القرآن وهو الكتاب المعروف بالصرفة، وكتاب الملخص في اصول الدين، كتاب الذخيرة، كتاب جمل العلم والعمل، كتاب تقريب الاصول، الرد على يحيى بن عدي، كتاب الرد على يحيى أيضا في اعتراضه دليل الموحدين في حدث الاجسام، الرد عليه في مسألة سماها طبيعة المسلمين، مسألة في كونه تعالى عالما، مسألة في الارادة، مسألة اخرى في الارادة، كتاب تنزيه الانبياء والائمة عليهم السلام، مسألة في التوبة، مسألة في الولاية من قبل السلطان، كتاب الشافي في الامامة، كتاب المقنع في الغيبة، كتاب الخلاف في اصول الفقه، مسألة في التأكيد، مسألة في دليل الخطاب، المصباح في الفقه، شرح مسائل الخلاف، مسألة في المتعة، المسائل المحمديات خمس مسائل، المسائل البادرائيات أربع وعشرون مسألة، المسائل الموصليات - ثلاثة في الوعيد والقياس والاعتماد - المسائل

المصريات الاوائل خمس مسائل، الثانية، المسائل الرمليات سبع مسائل، المسائل التبانية، ثلاث مسائل سئل عنها السلطان، كتاب الغرر، كتاب الوعيد، كتاب الذريعة، تفسير قصيدته، كتاب مسائل انفرادات الامامية وما ظن انفرادها به. مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين و أربع مائة، وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتوليت غسله ومعي الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز»[1].

٣ـ محمد بن الحسن

الطوسي شيخ الطائفة وقد ترجمه السيد بحر العلوم بترجمة ضافية قال فيها: «محمد بن الحسن بن علي الطوسي: أبو جعفر شيخ الطائفة المحققه ورافع أعلام الشريعة الحقة، إمام الفرقة بعد الائمة المعصومين، وعماد الشيعة الامامية في كل ما يتعلق بالمذهب والدين، محقق الاصول والفروع ومهذب فنون المعقول والمسموع، شيخ الطائفة على الاطلاق، ورئيسها الذي تلوى إليه الاعناق. صنف في جميع علوم الاسلام، وكان القدوة في كل ذلك والامام: أما التفسير، فله فيه: كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن وهو كتاب جليل كبير، عديم النظير في التفاسير، وشيخنا الطبرسي - إمام التفسير في

١ـ رجال النجاشي- النجاشي ص ٢٧٠.

كتبه - إليه يزدلف ومن بحره يغترف، وفي صدر كتابه الكبير بذلك يعترف. وقد قال فيه: (... إنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق، ويلوح منه رواء الصدق، قد تضمن من المعاني الاسرار البديعة، واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتنميقها دون تحقيقها، وهو القدرة أستضئ بأنواره، وأطأ مواقع آثاره) والشيخ المحقق المدقق محمد بن إدريس العجلي - مع كثرة وقائعه مع الشيخ في اكثر كتبه يقف عند تبيانه، ويعترف بعظم شأن هذا الكتاب واستحكام بنيانه.

وأما الحديث، فإليه تشد الرحال، وبه تبلغ رجاله غاية الآمال، وله فيه من الكتب الاربعة التي هي أعظم كتب الحديث منزلة، واكثرها منفعة: كتاب التهذيب، وكتاب الاستبصار ولهما المزية الظاهرة باستقصاء ما يتعلق بالفروع من الاخبار، خصوصا: التهذيب، فانه كان للفقيه فيما يبتغيه من روايات الاحكام مغنيا عما سواه في الغالب، ولا يغني عنه غيره في هذا المرام. مضافا الى ما اشتمل عليه الكتابان من الفقه والاستدلال والتنبيه على الاصول والرجال، والتوفيق بين الاخبار، والجمع بينها يشاهد النقل أو الاعتبار. وأما الفقه، فهو خريت هذه الصناعة، والملقى إليه زمام الانقياد والطاعة. وكل من تأخر عنه من الفقهاء الاعيان، فقد تفقه على كتبه واستفاد منه نهاية أربه ومنتهى طلبه. وله - رحمه الله - في هذا العلم: كتاب النهاية الذي ضمنه متون الاخبار وكتاب المبسوط الذي وسع فيه التفاريع،

وأودعه دقائق الأنظار وكتاب الخلاف الذي ناظر فيه المخالفين، وذكر فيه ما اجتمعت عليه الفرقة من مسائل الدين. وله: كتاب الجمل والعقود في العبادات والاقتصاد فيها وفي العقائد الاصولية والايجاز في الميراث وكتاب يوم وليلة - في العبادة اليومية.

وأما علم الاصول والرجال، فله - في الاول -: كتاب العدة، وهو احسن كتاب صنف في الاصول وفي الثاني: كتاب الفهرست، الذي ذكر فيه أصول الاصحاب ومصنفاتهم وكتاب الابواب، المرتب على الطبقات من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - الى العلماء الذين لم يدركوا أحد الائمة (عليهم السلام) وكتاب الاختيار، وهو تهذيب كتاب معرفة الرجال للكشي.

وله: كتاب تلخيص الشافي في الامامة وكتاب المفصح في الامامة وكتاب مالا يسع المكلف الاخلال به. وكتاب ما يعلل وما لا يعلل وشرح جمل العلم والعمل - ما يتعلق منه بالاصول - وكتاب في أصول العقائد، كبير، خرج منه الكلام في التوحيد وشئ من العدل، ومقدمة في الدخول الى علم الكلام وهداية المسترشد وبصيرة المتعبد وكتاب مصباح المتهجد، وكتاب مختصر المصباح ومناسك الحج - مجرد العمل والادعية - وكتاب المجالس والاخبار وكتاب مقتل الحسين (عليه السلام) وكتاب أخبار المختار. وكتاب النقض على ابن شاذان في مسألة الغار ومسألة في العمل بخبر الواحد ومسألة في تحريم الفقاع. والمسائل الرجبية في آي القرآن، والمسائل

الرازية في الوعيد، والمسائل الجنبلانية - أربع وعشرون مسألة. والمسائل الدمشقية - اثنتا عشرة مسألة - والمسائل الالياسية مائة مسألة في فنون مختلفة - والمسائل الحائرية - نحو ثلاث مائة مسألة - والمسائل الحلبية، ومسائل في الفرق بين النبي والامام، ومسائل ابن البراج وكتاب أنس الوحيد - مجموع -.

هذه جملة الكتب التي ذكرها في (الفهرست)، وله كتاب الغيبة، كتاب حسن مشهور.

وعن الحسن بن مهدي السليقي - أحد تلامذة الشيخ -: (إن من مصنفاته التي لم يذكرها في (الفهرست): كتاب شرح الشرح - في الاصول - قال -: وهو كتاب مبسوط أملى علينا منه شيئا صالحا، ومات - رحمه الله - ولم يتمه ولم يصنف مثله) انتهى. وأول مصنفات الشيخ في الفقه: كتاب النهاية، وآخرها: المبسوط - كما يظهر من كلامه في خطبة هذا الكتاب، وكتاب الجمل والعقود، ومن إحالته فيه - في عدة مواضع - على سائر كتبه. منها - ما ذكره في كتاب الميراث - حيث حكى اختلاف الاصحاب في ذلك، ثم قال: ومنهم من ذهب إلى أنهم يرثون بالنسب والسبب الصحيحين والفاسدين وهو الذي اخترته في سائر كتبي: في النهاية، والخلاف، والايجاز في الفرائض، وتهذيب الاحكام، وغير ذلك. وقد ذكر - في أول المصباح - ما يدل على تأخره عن جميع كتبه الفقهية حتى المبسوط، ومعرفة ترتيب التصانيف أمر مهم يحتاج إليه الفقيه في

الاجماع والخلاف - كما نبهنا عليه سابقا. وكتاب المبسوط كتاب جليل عظيم النفع، وهو - كما قال مصنفه فيه. وفي (الفهرست): (أنه كتاب لم يصنف مثله، ولا نظير له في كتب الاصحاب ولا في كتب المخالفين). وهو أحد وثمانون كتابا مفصلة في الفهرست. وقد ذكر - في مفتتحه -: (انه كان على قديم الوقت وحديثه متشوق النفس الى عمل مثل هذا الكتاب - قال -: وكان يقطعني عن ذلك القواطع ويشغلني الشواغل، ويضعف نيتي - ايضا - فيه قلة رغبة هذه الطائفة فيه وترك عنايتهم به لانهم ألفوا الاخبار وما رووه من صريح الالفاظ حتى أن مسألة لو غير لفظها وعبر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم، تعجبوا منها. وقصر فهمهم عنها وكنت عملت - على قديم الوقت -: كتاب النهاية، وذكرت جميع ما رواه أصحابنا في مصنفاتهم وأصولها من المسائل وفرقوه في كتبهم - قال -: وأوردت جميع ذلك أو اكثره بالالفاظ المنقولة حتى لا يستوحشوا من ذلك، وعملت - بآخرة - مختصر جمل العقود والعبادات، سلكت فيه طريق الايجاز والاختصار، ووعدت فيه أن أعمل كتابا في الفروع - خاصة - ينضاف الى كتاب النهاية ويجتمع معه يكون كاملا في جميع ما يحتاج إليه. ثم رأيت أن ذلك يكون مبتورا يصعب فهمه على الناظر فيه، لان الفرع إنما يفهم إذا ضبط الاصل معه، فعدلت الى عمل كتاب يشتمل على عدد جميع كتب الفقه التي فصلها الفقهاء، وهي نحو من ثمانين كتابا على غاية ما يمكن من تلخيصه من الألفاظ وأقتصر على

مجرد الفقه، دون الادعية والاداب، وأعقد فيه الابواب، واقسم فيه المسائل وأجمع بين النظائر، واستوفيه غاية الاستيفاء وأذكر اكثر الفروع التي ذكرها المخالفون وأقول ما عندي فيه، على ما تقتضيه مذاهبنا وتوجيه أصولنا - بعد أن اذكر جميع أصول المسائل، وإذا كانت المسألة أو الفرع ظاهرا أقنع فيه بمجرد الفتيا، وان كانت المسألة أو الفرع غريبا أو مشكلا، أومئ الي تعليلها ووجه دليلها، ليكون الناظر فيها غير مقلد ولا منحت، وإذا كانت المسألة أو الفرع مما فيه أقوال العلماء ذكرتها وبينت عللها والصحيح منها والاقوى، وأنبه على جهة دليلها لا على وجه القياس، وإذا شبهت شيئا بشئ فعلى جهة المثال لا على حمل أحدهما على الاخر، أو على وجه الحكاية عن المخالفين دون الاعتبار الصحيح، ولا أذكر أسماء المخالفين في المسألة، لئلا يطول الكتاب به، وقد ذكرت ذلك في مسائل (الخلاف) مستوفى، وان كانت المسألة لا ترجيح فيها للاقوال وتكون متكافئة وقفت فيها، وتكون المسألة من باب التخيير. وهذا الكتاب - إذا سهل الله اتمامه - يكون كتابا لا نظير له في كتب أصحابنا ولا في كتب مخالفينا، لاني - الى الآن - ما عرفت لاحد من الفقهاء كتابا واحدا يشتمل على الاصول والفروع مستوفيا مذهبا، بل كتبهم - وان كانت كثيرة - فليس يشتمل عليها كتاب واحد، وأما أصحابنا فليس لهم في هذا المعنى شئ يشار إليه، بل لهم مختصرات وأوفى ما عمل في هذا المعنى: كتابنا (النهاية) وهو على ما قلت فيه).

هذا كلامه - رحمه الله - نقلناه بطوله، لما فيه من الفوائد الكثيرة لمن تدبر ذلك وتأمله، ومن جملة فوائده: ما أشرنا في وصف كتاب النهاية: من أنه نقل متون الاخبار أو مضامينها، فان هذا شئ عظيم النفع عند إعواز الاحاديث. وقد ذكر الشيخ - طاب ثراه - كل من تأخر عنه من علماء الشيعة وفقهائهم، واكثروا الثناء والاطراء عليه وعلى كتبه. وقال النجاشي - وهو من معاصريه -: (محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر، جليل في أصحابنا، ثقة عين، من تلامذة شيخنا أبي عبد الله، له كتب) - ثم ذكر كثيرا مما تقدم من مصنفاته. وقال العلامة - رحمه الله - (... شيخ الامامية ووجههم - قدس الله روحه - رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة صدوق عين عارف بالاخبار والرجال والفقه والاصول والكلام والادب، جميع الفضائل تنسب إليه، صنف في كل فنون الاسلام، وهو المهذب للعقائد في الاصول والفروع، الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل وكان تلميذ الشيخ المفيد - رحمه الله - محمد بن محمد بن النعمان، ولد - قدس الله روحه - في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاث مائة، وقدم العراق سنة ثمان وأربعمائة فيكون قدم العراق - وله ثلاث وعشرون سنة، وتوفى ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة بالمشهد المقدس الغروي، على ساكنه السلام ودفن بداره قال الحسن بن مهدي السليقي: توليت أنا والشيخ أبو محمد الحسن بن عبد الواحد العين

زربي، والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي في تلك الليلة غسله ودفنه. وكان يقول - أولا - بالوعيد، ثم رجع وهاجر الى مشهد أمير المؤمنين - عليه السلام - خوفا من الفتن التي تجددت ببغداد وأحرقت كتبه وكرسي كان يجلس عليه للكلام). وفي حواشي الشهيد على هذا الموضع بخط شيخنا الشهيد - رحمه الله - السيلقي - قال -: (ورأيت هذا المحكي عن السليقي بخطه). وقال ابن داود: (... شيخ الطائفة وعمدتها - قدس الله روحه - (لم) أوضح من أن يوضح حاله، ولد في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلثمائة، وقدم العراق سنة ثمان وأربعمائة، وتوفي ليلة الاثنين ثاني عشر المحرم من سنة ستين وأربعمائة بالمشهد الشريف الغروي، ودفن بداره) وقال السروي في (معالمه): (... توفي بمشهد أمير المؤمنين - عليه السلام - في آخر المحرم سنة ثمان وخمسين وأربعمائة). وبين التواريخ اختلاف في أيام الشهر، وبين الاولين والثالث في السنين - أيضا - والاثبت وفاته عام ستين. وفي (الوجيزة): (... محمد بن الحسن الطوسي، وفضله وجلالته أشهر من أن يحتاج الى البيان). وقد ذكر الشيخ - رحمه الله - أيضا جماعة من المخالفين. فعن ابن الجوزي في (تأريخه - فيمن توفي سنة ستين وأربعمائة من الاكابر): (... أبو جعفر الطوسي فقيه الشيعة، توفي بمشهد أمير المؤمنين علي - عليه السلام -). وحكى القاضي في (مجالسه) عن ابن كثير الشامي: أنه قال فيه: (إنه كان فقيه الشيعة مشتغلا بالافادة في بغداد الى أن وقعت

الفتنة بين الشيعة والسنة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، واحترقت كتبه وداره في باب الكرخ فانتقل من بغداد الى النجف، وبقي هناك الى أن توفي في شهر المحرم سنة ستين وأربعمائة). وعن (تأريخ مصر والقاهرة لبعض الاشاعرة): (ان أبا جعفر الطوسي فقيه الامامية وعالمهم وصاحب التصانيف، منها تفسير كبير في عشرين مجلدا، جاور النجف، ومات فيه، وكان رافضيا قوي التشيع وحكى جماعة أنه وشي بالشيخ الى الخليفة العباسي أنه وأصحابه يسبون الصحابة - وكتابه المصباح يشهد بذلك - فانه ذكر أن من دعاء يوم عاشوراء: (اللهم خص أول ظالم باللعن مني، وابدء به أولا ثم الثاني ثم الثالث وفي حواشي الشهيد على هذا الموضع بخط شيخنا الشهيد - رحمه الله - السيلقي - قال -: (ورأيت هذا المحكي عن السليقي بخطه). وقال ابن داود: (... شيخ الطائفة وعمدتها - قدس الله روحه - (لم) أوضح من أن يوضح حاله، ولد في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلثمائة، وقدم العراق سنة ثمان وأربعمائة، وتوفي ليلة الاثنين ثاني عشر المحرم من سنة ستين وأربعمائة بالمشهد الشريف الغروي، ودفن بداره) وقال السروي في (معالمه): (... توفي بمشهد أمير المؤمنين - عليه السلام - في آخر المحرم سنة ثمان وخمسين وأربعمائة). وبين التواريخ اختلاف في أيام الشهر، وبين الاولين والثالث في السنين - أيضا - والاثبت وفاته عام ستين. وفي (الوجيزة): (... محمد بن الحسن الطوسي، وفضله وجلالته أشهر من

أن يحتاج الى البيان). وقد ذكر الشيخ - رحمه الله - أيضا جماعة من المخالفين. فعن ابن الجوزي في (تأريخه - فيمن توفي سنة ستين وأربعمائة من الاكابر): (... أبو جعفر الطوسي فقيه الشيعة، توفي بمشهد أمير المؤمنين علي - عليه السلام -). وحكى القاضي في (مجالسه) عن ابن كثير الشامي: أنه قال فيه: (إنه كان فقيه الشيعة مشتغلا بالافادة في بغداد الى أن وقعت الفتنة بين الشيعة والسنة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، واحترقت كتبه وداره في باب الكرخ فانتقل من بغداد الى النجف، وبقي هناك الى أن توفي في شهر المحرم سنة ستين وأربعمائة). وعن (تأريخ مصر والقاهرة لبعض الاشاعرة): (ان أبا جعفر الطوسي فقيه الامامية وعالمهم وصاحب التصانيف، منها تفسير كبير في عشرين مجلدا، جاور النجف، ومات فيه، وكان رافضيا قوي التشيع وحكى جماعة أنه وشي بالشيخ الى الخليفة العباسي أنه وأصحابه يسبون الصحابة - وكتابه المصباح يشهد بذلك - فانه ذكر أن من دعاء يوم عاشوراء: (اللهم خص أول ظالم باللعن مني، وابدء به أولا ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، اللهم العن يزيد بن معاوية خامسا) فدعا الخليفة بالشيخ والكتاب فلما حضر الشيخ ووقف على القصة ألهمه الله تعالى أن قال: ليس المراد من هذه الفقرات ما ظنته السعاة، بل المراد بالاول: قابيل - قاتل هابيل وهو أول من سن القتل والظلم. وبالثاني: قيدار - عاقر ناقة صالح - وبالثالث: قاتل يحيى بن زكريا - ع - قتله لاجل بغي من بغايا بني

إسرائيل، وبالرابع: عبد الرحمان بن ملجم - قاتل علي بن أبي طالب - عليه السلام - فلما سمع الخليفة من الشيخ تأويله وبيانه قبل منه ورفع شانه، وانتقم من الساعي وأهانه). ويستفاد من تأريخ تولد الشيخ - رحمه الله - ووفاته: أنه قد عمر خمسا وسبعين سنة، وأدرك تمام الطبقة التاسعة وخمس عشرة سنة من الثامنة وعشرين سنين من العاشرة. فيكون قد ولد - بعد وفاة الصدوق - رحمه الله - بأربع سنين، فانه توفي سنة إحدى وثمانين وثلثمائة - كما سيجيئ في ترجمته إن شاء الله -. ويعلم من تأريخ وروده العراق - وهي سنة ثمان وأربعمائة: أن مقامه فيها مع الشيخ المفيد - رحمه الله - كان نحوا من خمس سنين، فانه توفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. ومع السيد المرتضى - رحمه الله - نحوا من ثمان وعشرين سنة، لانه توفي سنة ست وثلاثين واربعمائة فيكون قد بقي بعده أربعا وعشرين سنة، اثنتا عشرة سنة منها في بغداد ومثلها في المشهد الغروي. وتوفي فيه، ودفن في داره، وقبره مزار معروف وداره ومسجده وآثاره باقية الى الآن، وقد جدد مسجده في حدود سنة ثمان وتسعين من المائة الثانية بعد الالف، فصار من أعظم المساجد في الغري المشرف»[1].

١ـ الفوائد الرجالية - السيد بحر العلوم ج ٣ ص ٢٢٧.

من نتاجات الدور الثاني

١ـ كتب الشيخ المفيد (قدس سره) الكلامية كتصحيح عقائد الصدوق و الارشاد والافصاح وغيرها.

٢ـ كتب السيد المرتضى (قدس سره) كالشافي وجمل العلم والعمل والذخيرة.

٣ـ كتب الشيخ الطوسي (قدس سره) كتلخيص الشافي والاقتصاد والغيبة.

٤ـ تقريب المعارف للشيخ ابي الصلاح تقي الدين الحلبي (قدس سره).

٥ـ التعليق في علم الكلام لقطب الدين ابي جعفر محمد بن الحسن المقري النيسابوري.

٦ـ المسلك في اصول الدين والرسالة الماتعية للمحقق الحلي(قدس سره) صاحب الشرائع.

الدور الثالث

مميزاته

وفيه بدات الابحاث الكلامية تندك في المعطى الفلسفي فابتنت اصول العلم في هذه المرحلة على النتائج الفلسفية المشائية، فظهرت افكار مثل: «دليل الامكان» و «عينية الصفات الالهية للذات» و «العلم الحضوري» و «تفسير المعاد بجمع الاجزاء المتفرقة».

اهم علماء الدور الثالث

١ـ محمد بن محمد بن الحسن الطوسي

المعروف بالمحقق الطوسي الخواجا نصير الدين، ولد سنة ٥٩٩هـ واشتغل بالفلسفة والكلام وقام بالمزاوجة بينهما فجعل للكلام مقدمتين احداهما المنطق والاخرى الفلسفة المشائية، كما هو واضح من ملاحظة كتابه تجريد الاعتقاد، وقد حاز كتابه على اعجاب علماء الفريقين الشيعة والعامة فكثرت عليه الشروح منهما، وصار من مناهج

الدرس العقائدي في الحوزات العلمية كما انه من مصادر الفلسفة المشائية ايضا، وبهذا تحققت المصالحة جزئيا بين الدين و الفلسفة المشائية الارسطية التي حاربها متكلموا الدور الاول ونأى عنها اعلام الدور الثاني.

ومن اظهر ما تسرب الى الفكر الشيعي من هذه الفلسفة هو مسالة الامكان والوجوب وفي هذا الدور تأخر دليل الحدوث ليتقدم دليل الامكان، فنجد ان علماء هذه المدرسة معجبين بهذا الدليل يذكرونه باجلال بل صرح العلامة الحلي وهو ابرز تلامذة المحقق الطوسي بان دليل الحدوث لا يتم الا بالامكان[1].

من تلامذته: العلامة الحلي وابن ميثم البحراني (قدس سرهما).

توفي (قدس سره) سنة ٦٧٢هـ وقبره في الكاظمية المقدسة.

من نتاجات الدور الثالث

١- كتب المحقق الطوسي (قدس سره) كالتجريد وواجب الاعتقاد وقواعد العقائد وغيرها.

٢- كتب العلامة الحلي (قدس سره) ككشف المراد في شرح التجريد وكشف الفوائد في شرح قواعد العقائد ومعارج الفهم في شرح النظم ونهج المسترشدين وكشف الحق ومناهج اليقين والرسالة

١ـ انظر المسالة الاولى من المقصد الثالث.

السعدية ونهاية الاقدام وشرح الياقوت وتسليك النفس الى حضيرة القدس وغيرها.

٣- كتب الشيخ الفاضل المقداد السيوري (قدس سره) كشرح الباب الحادي عشر واللوامع الالهية والانوار الجلالية وارشاد الطالبين الى نهج المسترشدين وغيرها.

٤- كتب الشيخ زين الدين النباطي البياضي العاملي (قدس سره) كعُصرة المنجود والباب المفتوح الى ما قيل في النفس والروح والصراط المستقيم والرسالة اليونسية والكلمات النافعات.

٥- المقالة التكليفية والباقيات الصالحات للشهيد الاول (قدس سره).

٦- كتب ابن ابي جمهور الاحسائي (قدس سره) ككشف البراهين في شرح رسالة زاد المسافرين.

الدور الرابع

انتهت في هذا الدور ملامح التوحيد الحقة التي بلغها الرسول الاعظم والائمة الهداة (صلوات الله عليهم) وشاعت المعارف بتقريرات مختلفة منهجا ونتائج عن الاصول التي بلغها الحجج المعصومون، وهو دور المحنة الكبرى لعلم الكلام حيث الانتشار السريع واختلاط الامور والله المستعان.

مميزاته

لا ميزة له الا انه من اظهر مظاهر البدع والانحرافات التي يجب على اهل العلم والمهتمين بالشأن العقائدي ان يواجهونها ببيان زيفها وبيان الحق، والله الموفق للسداد.

اهم علماء الدور الرابع

ورجال هذا الدور كثيرون لا سيما في زماننا هذا، و لا نجد ضرورة للحديث حولهم والتوصيف السابق كاف في التعرف عليهم وعلى نتاجاتهم والله المستعان.

علم الكلام اليوم

تقدم ان لعلم الكلام ادوارا اربعة مرت به وقد نحدد اليوم دورا خامسا بدأت بواكيره بالظهور في النجف الاشرف وقم المقدسة، يؤسس لعلم كلام استثمر العطاء العقلي والنقلي ليوضح الحق ويرد الشبه، ولعل الحاجة الكبيرة لايضاح العقيدة وبيان مفرداتها بشكل ينسجم مع العقل ولا يُغفل البيانات المعصومية مما تفرضه طبيعة العصر الذي انفجرت فيه وسائل البيان والنشر واطلاع الاعلام على بيانات الفلاسفة والمتكلمين وفر ارضية صالحة لاعادة النظر في الفكر الفلسفي الذي طرح نفسه بديلا عن الكلام، ولتقف اليوم ثلة من العلماء الاعلام والفضلاء الكرام لبيان الحق والدفاع عنه. نسأل الله تعالى ان يوفق العاملين في خدمة الحق وبيانه والدفاع عنه.

وقفه مع معجم طبقات المتكلمين

استعرض العلامة السبحاني (حفظه الله) اربعة مراحل لعلم الكلام بالشكل التالي:

الاولى والثانية: قال: «المرحلتان المتواكبتان: ان الشيعة الامامية منذ عصر الامامين الباقر والصادق (عليهما السلام) الى عصر الشيخ المفيد كانوا على منهجين متقاربين لا متضادين:

١ـ منهج جمع الحديث وتدوينه مجردا عن التعمق والتمحيص الا قليلا.

٢ـ منهج تدوين الحديث مع تمحيص السنة الصحيحة عن الموضوعة»[1].

وعد جماعة من اتباع المنهجين وادعى ان من اتباع المنهج الاول الصفار والصدوق وغيرهم.

ثم قال: «انهم كانوا يتميزون بامور:

١ـ كانوا يمارسون الاخبار ويروونها لكن بلا تمحيص، ومع ذلك لم يكن الجميع على منزلة واحدة من هذه الجهة للفرق الواضح بين ما الفه الصدوق وغيره.

٢ـ كانوا يعتمدون على العقل باقل ما يمكن.

٣ـ يرون ان خبر الاحاد حجة في العقائد والمعارف كما هو حجة في الفقه والاحكام»[2].

وهذا الكلام غريب جدا لامور:

١ـ معجم طبقات المتكلمين ج ١ ص ١٩٦.

٢ـ معجم طبقات المتكلمين ج ١ ص ١٩٨.

الاول: من اين عرف الفرق بين ما الفه الصدوق وغيره؟ وهل وصل الى يومنا هذا الا مؤلف لبعض من سماهم وهم: الصدوق والبرقي والصفار وسعد بن عبد الله، اما الاخرون فلم تصلنا كتبهم لنعرف صدق دعواه في التفريق.

ولعلك تقول ان الفرق بين الكتب الواصلة الينا فليس توحيد الصدوق كبصائر الصفار، والجواب

ان الاختلاف في الموضوع لا يعطي صورة واضحة عن الاختلاف في المنهج كما ان الاخبار في الكتب المشار اليها معروفة مشهورة لا مؤنة في الاعتماد عليها اما لتكررها في كتب الاصحاب بالاسانيد المختلفة او لتواتر مضامينها معنويا او لموافقتها للعقل فلا نعرف من اين فرق الشيخ بين كتب الصدوق وغيره.

ثانيا: قوله انهم «كانوا يعتمدون على العقل باقل ما يمكن» اذ لا معنى لهذا الكلام بعد ان كانت الاخبار تبيّن الاستدلال العقلي وترشد ببيانها الواضح الكافي الى المطالب العالية الالهية.

ثالثا: دعوى قبولهم اخبار الاحاد في العقيدة مجازفة لم يقم عليها الشيخ دليلا فعهدتها على مدعيها.

والحاصل ان من طالع كتب الاصحاب المتقدمين لا سيما من سماهم النص المذكور لا سيما الصدوق يجد في مطاوي رواياتهم تحقيقات علمية عقلية راقية نأت عقول المتفلسفة والمتصوفة عن ادراكها والله المستعان.

قال: «المرحلة الثالثة (قال بعد ان حدد بدايتها بمطلع القرن الحادي عشر)» في تلك الاجواء ظهرت المدرسة الاخبارية التي شطبت على العلوم العقلية بقلم عريض، ولم تر للعقل أي وزن وقيمة لا في العلوم العقلية، ولا في العلوم النقلية، وقد رفع راية تلك الفكرة الشيخ محمد أمين بن محمد شريف الاسترابادي (المتوفي ١٠٣٦ ه).

ثم قال: «وعلى كل تقدير فقد تأثرت الأوساط العلمية بالتيار الاخباري وذاع صيته وكثر أتباعه، وهم بين متطرف ـ كمؤسسه ـ يطعن على العلماء، ومعتدل يحترم المخالف.

ومن اصول ذلك المنهج: نفي حجية العقل في المسائل الاصولية وعدم الملازمة بين حكم العقل والنقل، وادعاء قطعية صدور احاديث الكتب الاربعة وانه عند تعارض العقل والنقل يؤخذ بالنقل.

وهذا الاصل الاخير صار سببا لتقديم اخبار الاحاد على احكام العقل في باب المعارف والمسائل الكلامية.

ولذلك نرى ان المجلسي الاول (١٠٠٣ ـ ١٠٧٠ هـ) وكذا ولده المجلسي الثاني (١٠٣٧ ـ ١١١٠ هـ) والفيض الكاشاني (١٠٠٧ ـ ١٠٩١ هـ) والمحدث الحر العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ) وغيرهم ممن تأثروا بالمنهج الاخباري الى ظهور المحقق البهبهاني (١١١٨ ـ ١٢٠٦ هـ) نبذوا كل الوان التفكير العقلي في اصول الفقه على

الاطلاق وفي مجال العقائد على نحو خاص حتى انكروا تجرد النفس الانسانية»[١].

يملؤني العجب من هذا الكلام الذي هو اشبه بنفثة المصدور منه بالتحقيق العلمي، ولنا على ما افاده الشيخ الفاضل ملاحظات:

الملاحظة الاولى: ادعى ان اصول منهج الاخباريين ثلاثة امور:

الاول: «نفي حجية العقل في المسائل الاصولية وعدم الملازمة بين حكم العقل والنقل» ولكننا نجد ان من الاصوليين من قال بهذا القول ومنهم الشيخ محمد حسين الاصفهاني (قدس سره) صاحب الفصول في الفصول ومن المعاصرين اساتذنا المحقق اية الله السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله).

الثاني: «ادعاء قطعية صدور احاديث الكتب الاربعة» وهذا القول ايضا ليس من مختصات الاخباريين، بل ذهب اليه جمع من اكابر المحققين مثل الميرزا محمد حسين النائيني، وشيخ الشريعة الاصفهاني (قدس سرهما) وغيرهما، واليك كلمة الفقيه المحقق الشيخ رضا الهمداني: «ليس المدار عندنا في جواز العمل بالرواية على اتصافها بالصحة المصطلحة والا فلا يكاد يوجد خبر يمكننا اثبات عدالة رواتها على سبيل التحقيق لولا البناء على المسامحة في طريقها والعمل بظنون غير ثابتة الحجية بل المدار على وثاقة الراوي

١ـ معجم طبقات المتكلمين ج ١ ص ٢٠٨.

أو الوثوق بصدور الرواية وان كان بواسطة القراين الخارجية التي عمدتها كونها مدونة في الكتب الاربعة أو مأخوذة من الاصول المعتبرة مع اعتناء الاصحاب بها وعدم اعراضهم عنها ولا شبهة في ان قول بعض المزكين بان فلانا ثقة أو غير ذلك من الالفاظ التي اكتفوا بها في تعديل الرواة لا يؤثر في الوثوق ازيد مما يحصل من اخبارهم بكونه من مشايخ الاجازة ولاجل ما تقدمت الاشارة إليه جرت سيرتي على ترك الفحص عن حال الرجال والاكتفاء في توصيف الرواية بالصحة كونها موصوفة بها في السنة مشايخنا المتقدمين الذين تفحصوا عن حالهم»(١).

الثالث: «عند تعارض العقل والنقل يؤخذ بالنقل»، ونقول ان لتعارض العقل والنقل صورا مختلفة واليك التفصيل:

١ـ تعارض العقل الضروري مع النقل القطعي.

٢ـ تعارض العقل الضروري مع النقل غير القطعي.

٣ـ تعارض العقل النظري مع النقل القطعي.

٤ـ تعارض العقل النظري مع النقل غير القطعي.

ويختلف الموقف العلمي باختلاف هذه الصور

اما الاولى فلعدم تحققها خارجا فلا يوجد قطعي نقلي يعارض ضروريا عقليا.

١ـ مصباح الفقيه ج٢ ق١- آقا رضا الهمداني ص ١٢.

اما الثانية فيقدم العقل.

اما الثالثة فيقدم النقل لاحتمال الخطأ في النظري دون النقل القطعي.

اما الرابعة فيجب التوقف لتكافؤ احتمال الخطأ في النظري مع احتمال الخطأ في النقلي.

ومن هنا تعرف ان اطلاق تقديم العقل على النقل عند التعارض غير صحيحة.

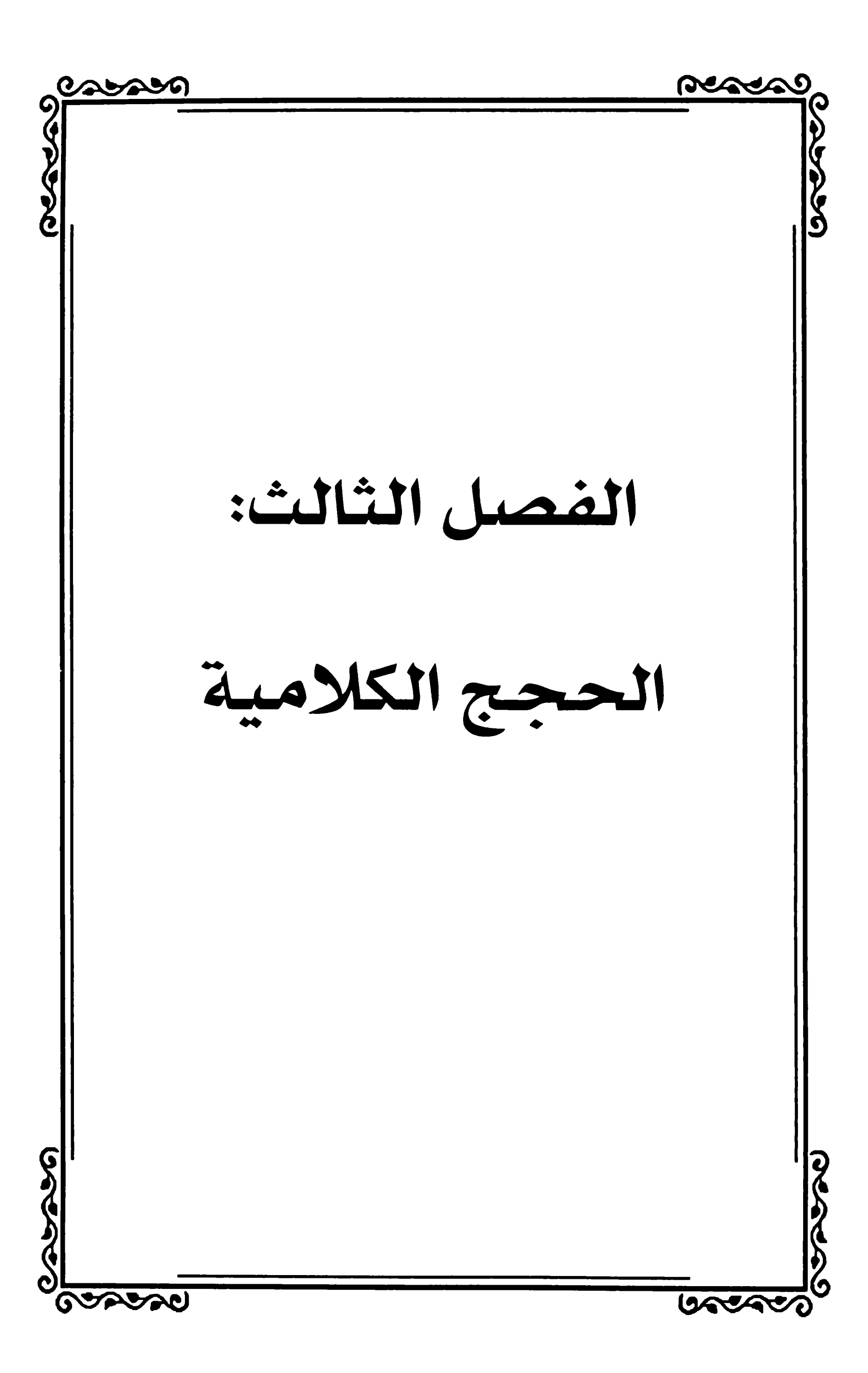
الملاحظة الثانية: ادعى ان بعض الاعلام ومنهم المجلسيان (قدس سرهما): «نبذوا كل الوان التفكير العقلي في اصول الفقه على الاطلاق وفي مجال العقائد على نحو خاص» وما يهمنا الكلام فيه هو المجلسي الثاني (قدس سره)، وليس هذا الهجوم الغريب من مثل المؤلف (حفظه الله) على مثل المولى المجلسي حافظ تراث الائمة الهداة (صلوات الله عليهم) الا لموقف المجلسي من الفلسفة فلا نجد في كتبه مناوءة للعقل بل هو (قدس سره) ابتدء كتابه الكبير بكتاب العقل وحقق معانيه واظهر من التحقيقات العالية في مختلف مجالات المعرفة ما ينبغي اكباره لاجلها، اما الموقف من الفلسفة فما كان مشروع البحار ـ فيما نرى ـ الا تصد ظاهر لهجوم الفلسفة على الثوابت الدينية وضربها لاسس المعارف الحق فاحيا ببحاره وغيره من كتبه النفيسة حقائق المعارف وابقى للتحقيق العلمي والعقلي رونقه

بعيدا عن مزخرفات الفلسفة واوهام العرفان والدليل بياناته في البحار وشرحه على الكافي فراجع واغتنم.

الملاحظة الثالثة: جعل صاحب المعجم انكار تجرد النفس الانسانية نتيجةً لابتعاد الاعلام عن العقل والحق ان انكار التجرد المزعوم هو مؤدى التفكير العقلي المتوازن الصحيح ولتحقيق المسالة محل آخر[١].

ولعل ما ادى بالشيخ الفاضل المحقق الى هذا الكلام هو عدم الفرق عنده بين العقل والفلسفة، فمخالف الفلسفة مخالف للعقل، والصحيح ان الفلسفة ليست قيّم العقل ليقاس التفكير العقلي حسب معطياتها بل هي تزويقات المهوسين بها لدعاوى ابن عربي الضال ويكفي في اثبات ذلك شهادات اعلام الفلسفة والعرفان باستقاء ملا صدرا من ابن عربي هذا.

١ـ قال اكثر المتكلمين بان الروح جوهر مادي ومنهم العلامة الحلي وكمال الدين البحراني وسالم بن عزيزة راجع الباب المفتوح للبياضي ص١١٩ وما بعدها.



الفصل الثالث:

الحجج الكلامية

المراد بالحجة هنا هو الدليل، وهو ما يلزم من العلم به العلم بشيء اخر، و الحجج على نحوين:

الاول: عقلية.

الثاني: نقلية.

وهذا التقسيم باعتبار نوع المقدمات فان كانت نقلية فالدليل نقلي وان كانت عقلية فهو عقلي وان كانت بعضها نقلية والأخرى عقلية فالدليل نقلي هكذا قالوا....

ومن هنا كانت الحجج اما عقلية او نقلية، والمناسب هو بحث دور العقل والنقل في العقيدة، فهنا بحثان:

البحث الاول: العقل ودوره في المعرفة

البحث الثاني: النقل ودوره في المعرفة

البحث الاول: العقل ودوره في المعرفة

ما هو العقل

العقل هو القوة الادراكية المودعة عند الانسان التي تنطبع فيها صور الاشياء ومميزات بعضها عن بعض.

هذه القوة المدركة عند الانسان بالوجدان هي التي اعتمدتها الاديان السماوية بل والدعوات البشرية، فلا غرو ان لا نعير لأوهام الفلاسفة في تفسير حقيقة العقل اهمية.

والعقل هو اداة المعرفة الاساسية، به يزن الانسان ما يتعرف عليه من افكار، وليس للعقل دور في تاسيس العقائد الدينية بل هو آلة فقط.

واهم مرتكزات العقل هو البديهيات الادراكية التي تتكيء على المحسوسات التي تشكل المنطلق الاول للعقل.

تنويع الادراك

شاع في اوليات البحوث العلمية كالمنطق تنويع الادراك الى حصولي وحضوري والادراك العقلي هو من القسم الاول وبهذا يشترك مع الادراك النقلي، ليبقى للعلم الحضوري طريق واحد هو الكشف والمشاهدة، ومن هنا نجد ان من الضروري القاء نظرة على حقيقة هذين الطريقين اعني الحصول والحضور.

العلم الحصولي: هو انطباع صورة الشيء في الذهن، هكذا عرفه الكثير من المناطقة، واختلف معهم آخرون ليقولوا انه الصورة الحاصلة وليس حصول الصورة والمنشأ في ذلك الخلاف هو ان العلم يقع تحت أي من المقولات، وهو خلاف لا نفع فيه الا اطالة الكلام فلا يهمنا الخوض فيه بعد وضوح المراد بالعلم ودورانه مدار الصورة التي هي «ما يميز الشيء عما عداه».

اما العلم الحضوري: فهو حضور المعلوم لدى العالم دون توسط صورة، كما عرفة الشيخ المظفر (رحمه الله) في المنطق، او حضور مجرد لمجرد، كما عرفه السيد الطباطبائي (رحمه الله) في بداية الحكمة.

وقالوا: ان العلم الحصولي للماهية بالماهية، كما ان العلم الحضوري للوجود بالوجود.

ونقول: ان العلم الحصولي حقيقة، دليلنا عليها الوجدان.

اما العلم الحضوري ـ بتعريفيه السابقين ـ فخرافة لا دليل عليها، وذلك لوضوح ان الشيء ما لم يحضر بصورته فلا سبيل الى حضوره بنفسه لدى العالم الا ان ينقلب الذهن الى خارج وهو محال.

اما دعوى وجود المجردات فلا سبيل الى الايمان بها لاستحالة تحققها في الممكنات كما حقق في محله.

تنبيه: ادعوا تحقق العلم الحضوري في افراد ثلاثة:

١ـ علم الباري سبحانه.

٢ـ علم الانسان بنفسه وما يحسه من جوع وخوف والم....

٣ـ الصورة الذهنية.

ونقول: ١ـ علم الباري غير معروف الحقيقة فلا هو حصولي ولا حضوري بل هو غير ما يرد في تصوراتنا عن حقيقة العلم، وتمام بيان هذه الحقيقة في بحث الصفات، فلا يصح التمثيل لتقريب هذه الدعوى به لانه سيؤول الى المصادرة.

٢ـ علم الانسان بنفسه واحساساته حصولي، والسبب في ما نجده من الفرق بين علم الجريح بالالم وبين علم الطبيب به هو ان علم الجريح مُدعم بمنظومة من الاعصاب الناقلة للاحساس بالالم واين هذا من الغاء دور الصورة او دعوى التجرد؟!

٣ـ الصورة الذهنية هي الفرد الوحيد الذي يحصل في الذهن دون توسط صورة اخرى لتحكي لنا ذي الصورة وبهذا يحصل العلم بذي الصورة وهذا هو العلم الحصولي، اما الصورة فليست معلومة بل

اداة تحصّل العلم الحصولي ولا تكون (فردا للعلم الحضوري) اعني فردا للحاصل بنفسه دون توسط صورة الا حين الغفلة عنها، اما مع الالتفات اليها فلا حضور بل تحصل صورة اخرى تحكي عنها....

ولا ريب انهم ادعوا ان المعلوم حضورا يمتنع الغفلة فيه وبهذا ينهدم التمثيل بالصورة وذلك لانها حين عدم توسط صورة بينها وبين الذهن تكون مغفولا عنها فلا علم حضوري وعند الالتفات اليها تتوسط صورة ذهنية اخرى بينها وبين الذهن فكذلك لا علم حضوريا حينئذ.

وبهذ تنهدم اسس دعاوى الكشف والشهود و لا يبقى الا العلم الحصولي، وطريقاه هما العقل والنقل.

تقسيمات للعلم

١ـ العلم ـ ومرادنا الحصولي لما عرفته من بطلان الحضوري ـ ينقسم الى ضروري بديهي، ونظري كسبي، والضروري هو الحاصل دون فكر ونظر. والنظري بخلافه.

٢ـ والعلم اما تصور ان حصلت الصورة دون الحكم عليها سلبا او ايجابا، او تصديق ان حكم عليها سلبا او ايجابا.

وهذه التقسيمات وغيرها ذكرت في المنطق فلا يحسن تكرارها الا لاجل التذكير ببعضها او التنبيه على ما وقعوا فيه من الخطأ كما

عرفته في تقسيمهم العلم الى حصولي وحضوري اذ ليس هو الا من تقسيم الشيء الى نفسه وغيره.

خاتمة: والحصيلة الاخيرة ان العقل مصدر من مصادر المعرفة بمستوى البديهيات وما يترتب على الربط بينها او تحليله من النظريات، وهذا هو السر في تطور العلوم المادية التي ترجع في اساسها الى التجربة التي ترجع الى البداهة او ما هو قريب منها.

اما الامور الغيبية ومنها الدينية في جملة من مفاصلها المهمة كوجود الباري وتوحيده فلا سبيل الى العقل اليها بمفرده بل لا بد له من سمع يدله على سُبُل الاستدلال.

وبهذا يتضح اننا لا نلغي دور العقل، ولا نطلق له العنان ليؤسس الفكر الديني، الذي نؤمن بانه عطاء السماء ومعارف الحجج (صلوات الله عليهم) بتعليم من الله تعالى، والعقل حينئذ له دور الآلة المعرفية فقط، وفي اخبارنا ما يؤكد ذلك، ومنها:

١ - عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت وإذا تشعبت بهم الامور كان الخطاء منهم والصواب من علي عليه السلام[١].

١ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٩٩.

٢ – عن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال: له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عما شئتم فلا تسألوني عن شئ إلا أنبأتكم به» قال: إنه ليس أحد عنده علم شئ إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاؤوا، فوالله ليس الامر إلا من ههنا، وأشار بيده إلى بيته[1].

٣ – عن أبي مريم قال قال: أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: شرقا وغربا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت[2].

٤ – عن أي بصير قال: قال لي: إن الحكم بن عتيبة ممن قال الله: «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (البقرة: ٧.)». فليشرق الحكم وليغرب، أما والله لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل[3].

٥ – عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شهادة ولد الزنا تجوز؟ فقال: لا فقلت: إن الحكم بن عتيبة يزعم أنها تجوز. فقال: اللهم لا تغفر ذنبه ما قال الله للحكم «إنه لذكر لك ولقومك»

١ـ الكافي – الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٩٩.

٢ـ الكافي – الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٩٩.

٣ـ الكافي – الشيخ الكليني ج ١ ص ٤٠٠.

فليذهب الحكم يمينا وشمالا، فوالله لا يؤخذ العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام[١].

و لا مجال لتخصيص هذه الاخبار بعلم الفقه والفروع لامور:

الاول: ان الاخبار مطلقة عن هذا التقييد فما الدليل على التقييد؟

الثاني: حصرت الاخبار الأخذ عن آل البيت (صلوات الله عليهم) فالتعدي عنهم والأخذ عن غيرهم خُلف الحصر.

الثالث: وجود اخبار اخرى ارجعت الى محمد وآل محمد (صلوات الله عليه وعليهم) في التوحيد وهو اصل المعارف ونهت عن الرجوع الى غيرهم فيه، ومنها: «عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: بما أوحد الله؟ فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر»[٢].

الرابع: الاجماع، قال الشيخ المفيد: «اتفقت الامامية على أن العقل محتاج في علمه ونتائجه إلى السمع و أنه غير منفك عن سمع ينبه العاقل على كيفية الاستدلال، وأنه لابد في أول التكليف وابتدائه في العالم من رسول، ووافقهم في ذلك أصحاب الحديث..»[٣].

١ـ الكافي – الشيخ الكليني ج ١ ص ٤٠٠.
٢ـ الكافي – الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٦.
٣ـ أوائل المقالات– الشيخ المفيد ص ٤٤.

اهمية العقل عند الحجج المعصومين

٣ـ «عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل»[1].

٤ـ «قال ابن السكيت لأبي الحسن عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمدا - صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء - بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرء الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنه قال: الشعر فأتاهم من عند الله من واعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم، قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال:

١ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٥.

فقال عليه السلام: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه، قال: فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب»[١]

١ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٤.

البحث الثاني: النقل ودوره في المعرفة

تقدم ان العقل لا يملك الدور التأسيسي للمعارف الايمانية، فما هو السبيل اليها اذن؟ ونقول: ان المعارف الايمانية على ثلاثة اقسام:

الاول: عقلي، بمعنى ان الاستدلال المرتبط باسس التعقل الانساني وهو البديهيات له الدور الاساس في تحقق المعرفة لكن بعد بيان الحجج للطريق، كوجود الباري او توحيده او النبوة.

الثاني: غيبي، لا سبيل الى الايمان به الا الاخذ عن الصادق المقطوع بصدقه وهم الحجج المعصومون (صلوات الله عليهم).

الثالث: تاريخي، و لاريب ان النقل التاريخي شيب بالكثير من التزوير و وجود منقولات تاريخية عقائدية من طريق الحجج (صلوات الله عليهم) يفي بتحصيل التصديق او الاطمئنان اكثر من الاعتماد على منقولات المؤرخين من غيرهم ممن ساير السلطان بل حتى من غير المسايرين للسلاطين لوضوح عدم العصمة فيهم.

ومن هنا ننطلق لنؤسس اهمية المنقول الروائي[١] عن الحجج (صلوات الله عليهم) حيث لا سبيل الى تحصيل بلاغاتهم الا تلك الاخبار لا سيما ونحن في زمن الغيبة والحيرة.

لكن هناك مسالتان مهمتان لابد من تسليط الضوء عليهما:

الاولى: تحقيق المعيار في اعتماد الاخبار في مجال العقيدة.

والثانية: دلالة النص الديني.

١ـ مقياس قبول الاخبار واعتمادها في مجال العقيدة

لا شك ان قول المعصوم وبيانه لاي مفردة من مفردات العقيدة هي الاداء الوافي بما يريده الله تعالى من الانسان وبلاغ للناس وهدى ورحمة للعالمين، ولكن الموجود بين ايدينا اليوم هو كتب لا غير، فالمعصوم غير معروف بشخصه الشريف، ولا يمكننا اخذ المعارف منه (صلوات الله عليه) ومن هنا فلا بد من معرفة الطريق لاعتبار هذه

١ـ لا شك ان التراث الروائي الموجود بين ايدنا اليوم هو من اهم ما بقي لنا من جهود أئمتنا الهداة (صلوات الله عليهم) وعلمائنا الاعلام على مر العصور لا سيما العصور الاولى، وليست العلوم الاخرى الا خادمة وممهدة لفهم هذا التراث وتنظيمه واستخراج النتائج منه، فما يُدعى من ان اكثر التراث الروائي عندنا مدسوس شابته الاسرائيليات فهو من قلة التدبر او الخلط بين تراث الخاصة وتراث غيرهم من الفرق الاسلامية.

الاخبار والا فلا فائدة في مجرد نسبتها الى الحجج المعصومين (صلوات الله عليهم).

ونقول: ان الاخبار التي هي محل النظر ومظنة الاستفادة هي المودعة في الكتب القديمة المؤلفة في زمن الائمة الهداة (صلوات الله عليهم) او قريب من ذلك كالكتب الاربعة والعيون والخصال والتوحيد والبصائر والغيبة وغيرها.

وهذه الكتب لابد من صحة نسبتها الى اصحابها فلا عبرة بمشكوك النسبة، اما الكتب الاربعة فهي متواترة النسبة الى اصحابها المحمدين الثلاثة (قدست اسرارهم) اما البواقي فلا اشكال في صحة نسبتها الى اصحابها وتداولها بين اعلام الطائفة بما يعطي الوثوق الكامل بذلك.

وللاعلام مسالك في تحقيق سبيل الاعتماد على الخبر، منها:

١ـ منهج الاوائل: وهو الاعتماد على نقل الثقات او كتابتهم للاخبار عن الائمة الاطهار، وقد اتعبوا انفسهم في تدوين الاخبار التي هي محل النظر في المعارف والاحكام، وان كان هناك حشوية لا معرفة لهم بالاخبار فاننا لا نتكلم عن اولئك بل عن من وصلتنا كتبهم الشريفة مثل من ذكرناهم من اعلام كبار ثقات متثبتون ولا عبرة بما رواه غيرهم لانه اما لم يصلنا او وصل بعد ان مر ببوتقة أؤلئك النقدة الاثبات.

وهذا المنهج لا يمكننا ان نكون فيه كالصدوق والكليني واضرابهما لضرورة عدم توفر المصادر التي توفرت لهما ولاهل عصرهما نعم لنا ان نعتمد ما نقلوه لنا ونثق بصدور الاخبار لا سيما اذا تكررت او دعمتها قرائن اخرى.

٢ـ منهج المتاخرين، الذين حاولوا التعامل مع الاخبار بعد تصنيفها الى ما هو المعروف من متواتر وغيره وغير المتواتر محتف بالقرينة وغير محتف بها والاخير الى صحيح وحسن وموثق وضعيف، وفي هذا الطريق للتعامل مع الاخبار نظر لا يهمنا التعرض له هنا ولكن محط استفادة الباحث حول العقيدة هو تلك الاخبار التي وردت في الكتب المعروفة التي صحت نسبتها الى اصحابها و لا غرابة في مضامينها او تكررت فيها او وجدنا قرائن اخرى على صحتها وهي كثيرة تفي بالكثير من مفاصل العقيدة المهمة كما لا يخفى على المتابع.

ونحن مع الاسلوب الاول، ولكن لا بد من بيان امر:

ان الكلام في صحة الاعتماد على هذه الاخبار من حيث نقلها لوضوح ان المجازفة بالاخذ عن اشخاص مع احتمال كذبهم او لا اقل من كونهم في معرض الخطأ او النسيان مما لا نقدم عليه، فالمراد هو التفصي عن حيلولة الاسناد دون الاخذ بالاخبار، فالاخذ بالاخبار بضابطة «وجودها في الكتب المعتبرة التي اتعب الاعلام انفسهم

الشريفة في جمعها وتحقيق طرقها» يغني عن البحث السندي المعروف عند المتاخرين، وذلك لاسباب:

السبب الاول: عدم وجود علم رجال متكامل واضح المعالم مما جعلهم يتخبطون ـ افراطا او تفريطا ـ في تحديد تلك الضوابط، وما هو موجود اليوم هو محاولات واضحة التكلف لتقنين هذا المجال ولكن لا نجد الحاجة[1] له لا سيما بعد وضوح اعتبار المسلك الاول ـ عندنا ـ فلا يبقى للمسلك الاخر اهمية الا في مجال اقناع الخصم ـ مثلا ـ ان كان ممن يعتقد بذلك والامر سهل لتعاضد الكثير من روايات المعارف مما يجعل البحث السندي فيها ترفيا.

السبب الثاني: مآله الى اقصاء تراث آل البيت (صلوات الله عليهم) عن ساحة المعرفة وتحديد معالم العقيدة مما سمح لـ:

١ـ ترك مساحات فارغة يمكن ملؤها بمعارف وردت في الاخبار.

٢ـ ترك المجال واسعا للغزو الفكري من المدارس الاخرى كالاعتزال والفلسفة.

وقد يقال:

١ـ لا ننفي الحاجة الى علم الرجال مطلقا لكننا نعتقد بضيق مجالها وللتفصيل محل آخر.

١ـ انكم قلتم ان الاخبار متعاضدة فكيف تقصى المعارف على مسلك المتاخرين؟ لوضوح ان التعاضد يجعلها موضع الوثوق بصدورها.

والجواب: لا كلام مع هذا المسلك وهو في روحه عين المسلك الاول او مقارب له ولكن الكلام مع من يرى ان الخبر يبقى خبرا واحدا ما لم يبلغ التواتر ولا ينفع التعاضد في تقوية صدور المضمون.

وننبه الى ان هناك من يوافق على النظرية ولكن يتوقف في التطبيق فلا تجد لهذه النظرية ذات المجال المعرفي الواسع الا النزر من التطبيقات في القضايا الضرورية.

٢ـ ان عدم وجود نصوص يمكن الاعتماد عليها لا يُسوغ الاعتماد على غيرها.

والجواب: نعم، هذا صحيح، لكن مع وجود مسلك للاعتبار فلا يصار الى ما لا يؤدي الى اعتماد تلك الاخبار بحجة التحقيق! ودعوى الحرص على تنقية الفكر الشيعي.

بل حتى مع فرض عدم حجية الاخبار فاننا نجدها لا تخرج عن دائرة الاحتمال مما يعني ان نقيضها العقلي لا يبقى في مرتبة القطع بل يتنزل الى الظن او الوهم.

٢ـ دلالة النص الديني

لا ريب ان دلالة النص على المعنى اما ان تكون نصا في المعنى او ظاهرة فيه، او مجملة، والاول دلالته على المعنى تفيد ارادة ذلك المعنى قطعا، والثاني «الظاهر» المشهور ان دلالته ظنية، ومن هنا قالوا ان الاخبار الشريفة لا تفي بالبحث العقائدي لانها اما ظنية الصدور او ظنية الدلالة، وظنية الصدور نجتازها بالبيان السابق، اما ظنية الدلالة فهي في دلالة الظاهر فقط لما عرفته من قطعية دلالة النص، ودلالة الظاهر تبقى ظنية ما لم تعتضد بظواهر اخرى، فالخبر الظني الصدور كما يعتضد صدوره بوجوده بسند اخر مثلا او قرينة، فكذلك تعتضد دلالته بوجود نص اخر له نفس ظاهر ذلك الخبر، وذلك لان احتمال الكذب او الخطأ في البيان او السهو او غير ذلك يضعف حتى لا تبقى له قيمة علمية تسوغ لنا رفع اليد عن ذلك المضمون.

اما ما كانت دلالته مجملة فأرجه حتى تلقى امامك.

تنبيه: قد يقال ان تقسيم هذه الحجج الى نقلية وعقلية غير صحيح وذلك لان الحق لا يعرف الا باتباع الائمة الهداة (صلوات الله عليهم) فجميع الحجج نقلية والعقل لا دور له الا التصديق بما جاء عنهم.

والجواب: قبل عرض المعصوم للبلاغ الالهي ما الموجب لنا لاتباعه؟ اليس هناك ما يحكم بضرورة سماع دعواه ومن ثم اتباعه،

وذلك هو قوة الادراك الواعي البديهي او القريب من البداهة التي نشعر بها وجدانا و ذلك هو المستند العقلي لا ما اسسته الفلسفة، او حاولت تقنينه الاصول المنطقية المحررة.

وبهذا يتضح ان المجال الاوسع هو للحجج النقلية اما الاصل الذي ابتنت عليه الحجج النقلية فهو العقل بما يمتلك من القدرة على الايمان الواعي الواضح.

القطع الحاصل من المقدمات العقلية

ذهب جمع من اصحابنا الى انه «لا فرق فيما يكون العلم فيه كاشفا محضا بين أسباب العلم»[1].

كما: «وينسب إلى غير واحد من أصحابنا الأخباريين عدم الاعتماد على القطع الحاصل من المقدمات العقلية القطعية الغير الضرورية، لكثرة وقوع الاشتباه والغلط فيها، فلا يمكن الركون إلى شئ منها»[2].

وهذا المطلب من المطالب المهمة التي لها اثر كبير في تحديد مفردات العقيدة الايمانية، فان القطع عندما يكون حجة ذاتا وكاشفا عن الواقع بذاته مطلقا ولا اعتبار لمنشأ حصول القطع فان النتيجة هي انه عند الخوض في المباحث الفلسفية التي ادعوا انها هي المبين

١ـ فرائد الأصول - الشيخ مرتضى الأنصاري ج ١ ص ٥١.
٢ـ فرائد الأصول - الشيخ مرتضى الأنصاري ج ١ ص ٥١.

للمعطى العقلي فحينئذ يصل الباحث حسب ذلك المسلك الى الواقع لا بدلالة المعصوم بل بدلالة العقل النظري المحتمل للخطأ لوضوح ان القطع يشمل الجهل المركب لعدم تخصيصه باخراجه من ساحة القطع الذاتي الحجية عند المشهور[١]، وحينئذ يحصل التعارض بين حجية العقل بمعنى الايمان بواقعية المنكشف بالعقل والمنكشف بالنقل بعد ان التزموا بتاويل المنكشف النقلي او اهمالة مقابل التمسك بالمنكشف القطعي العقلي وامثلته في العقيدة كثيرة منها تفسيرهم للارادة والمعاد وغيرها....

ولا بد من متابعة القوم في استعراض الحجج وبيان ما هو الصحيح، فنقول:

الشيخ الاعظم الانصاري (قدس سره) بحث هذا الموضوع مفصلا ونقل كلمات الاخباريين وناقشها، لكنه قبل ذلك قرر امرين:

الاول: لا يمكن الردع عن القطع بعد تحققه، فقال «ان ارادوا عدم جواز الركون بعد حصول القطع، فلا يعقل ذلك في مقام اعتبار

١ـ ذهب بعض الاعلام الكبار كالسيد السبزواري والسيد الخميني (قدس سرهما) وبعض الاعاظم المعاصرين من اساتذتنا (دام ظله) الى عدم كاشفية القطع عن الواقع بقول مطلق وهو الصحيح.

العلم من حيث الكشف»[1]، وعارضه بقوله «ولو امكن الحكم بعدم اعتباره لجرى مثله في القطع الحاصل من المقدمات الشرعية»[2].

الثاني: لو سلم عدم جواز الخوض في المطالب العقلية لتحصيل المطالب الشرعية، لكن ملاك المنع حينئذ هو كثر الوقوع في الخطأ فيها لكنه معارض ايضا بكثرة الوقوع في الخطأ في فهم المطالب من الادلة الشرعية[3].

والجواب: اما عن الامر الاول، فنقول: ان دعوى الكاشفية الذاتية للقطع غير تامة بعد ان كان الجهل المركب فردا من افراده، وذلك لضرورة عدم انكشاف الواقع بالجهل المركب، والمسوغ لادخاله في القطع هو الكاشفية الادعائية ومن هنا فيمكن لمن تعارض قطعه مع قطع غيره ان ينهاه عن اتباع قطعه في حال تسلطه ومولويته واقصى ما يقال ان العبد حين قطعه يعتقد بجهل سيده، هذا في المولى العرفي، اما اذا كان المولى هو الله تعالى العالم الحكيم فلا يجري ذلك ايضا فان العبد القاطع بشيء اذا امره مولاه بما هو خلاف قطعه وكان يعتقد بعصمة المولى فانه يتراجع وينقلب قطعه الى شك، وما توهمه الشيخ الاعظم وآخرون ناشيء من مقايستهم المولى الحقيقي بالمولى العرفي من جميع الجهات وغفلوا عن ضرف اعتقاد العبد بضرورة

١ـ فرائد الأصول - الشيخ مرتضى الأنصاري ج ١ ص ٥١.

٢ـ فرائد الأصول - الشيخ مرتضى الأنصاري ج ١ ص ٥١.

٣ـ انظر الفرائد نفس المطلب السابق بتلخيص.

عدم الخطأ من المولى وهو يتحقق في افراد كثيرة منها امر الله تعالى والحجج المعصومين (صلوات الله عليهم).

واما عن الامر الثاني، فنقول: ان الاخبار الكثيرة التي يمكننا دعوى تواترها معنى دالة على عدم جواز الاخذ عن غير الحجج المعصومين (صلوات الله عليهم) وقد عرفت ان المدلول الظاهر في معنى اذا تكرر في نصوص مختلفة الالفاظ فلا يمكن الشك في ان ذلك المعنى الظاهر هو المراد لتعاضد الدلالة، وهذا الطريق العقلائي الممضى من الحجج المعصومين (صلوات الله عليهم) هو المتعين والمعذر في ظرف خطأه.

وبهذا نعرف ان الخوض في المطالب العقلية ممنوع اذا احتمل ان يؤدي الى القطع بخلاف ما جاء به الشرع الشريف ولا فرق في ذلك بين الفروع او الاصول...

ولما كان محل كلامهم هو استنباط الفروع فانهم جعلوا ذلك المجال الفقهي الفرعي هو محط الاخذ والرد، لكن الشيخ الاعظم صرح في اخر بحث هذه المسالة في الرسائل فقال (قدس سره): «وأوجب من ذلك: ترك الخوض في المطالب العقلية النظرية لإدراك ما يتعلق باصول الدين، فإنه تعريض للهلاك الدائم والعذاب الخالد، وقد اشير إلى ذلك عند النهي عن الخوض في مسألة القضاء والقدر، وعند نهي بعض أصحابهم صلوات الله عليهم عن المجادلة في المسائل الكلامية.

لكن الظاهر من بعض تلك الأخبار: أن الوجه في النهي عن الأخير عدم الاطمئنان بمهارة الشخص المنهي في المجادلة، فيصير مفحما عند المخالفين، ويوجب ذلك وهن المطالب الحقة في نظر أهل الخلاف»[١].

تنبيه: تقدم ان النهي عن الخوض في المطالب الكلامية ليس لاجل ما ذكروه من عدم احسان المتكلم لعلم الكلام بل لعدم الرجوع اليهم (صلوات الله عليهم)، فراجع.

تعارض العقل والنقل

ومفاد الدليل العقلي قد يناقض مفاد الدليل النقلي، وهنا لابد من تحديد الموقف؟ فماذا نفعل عند تحقق هذا الفرض؟

والجواب: ان فرض التعارض له اربعة صور ولكل منها حكمه، وهي:

الاول: تعارض حكم العقل البديهي مع النقلي القطعي.

الثاني: تعارض حكم العقل البديهي مع النقلي الظني.

الثالث: تعارض حكم العقل النظري مع النقلي القطعي.

الرابع: تعارض حكم العقل النظري مع النقلي الظني.

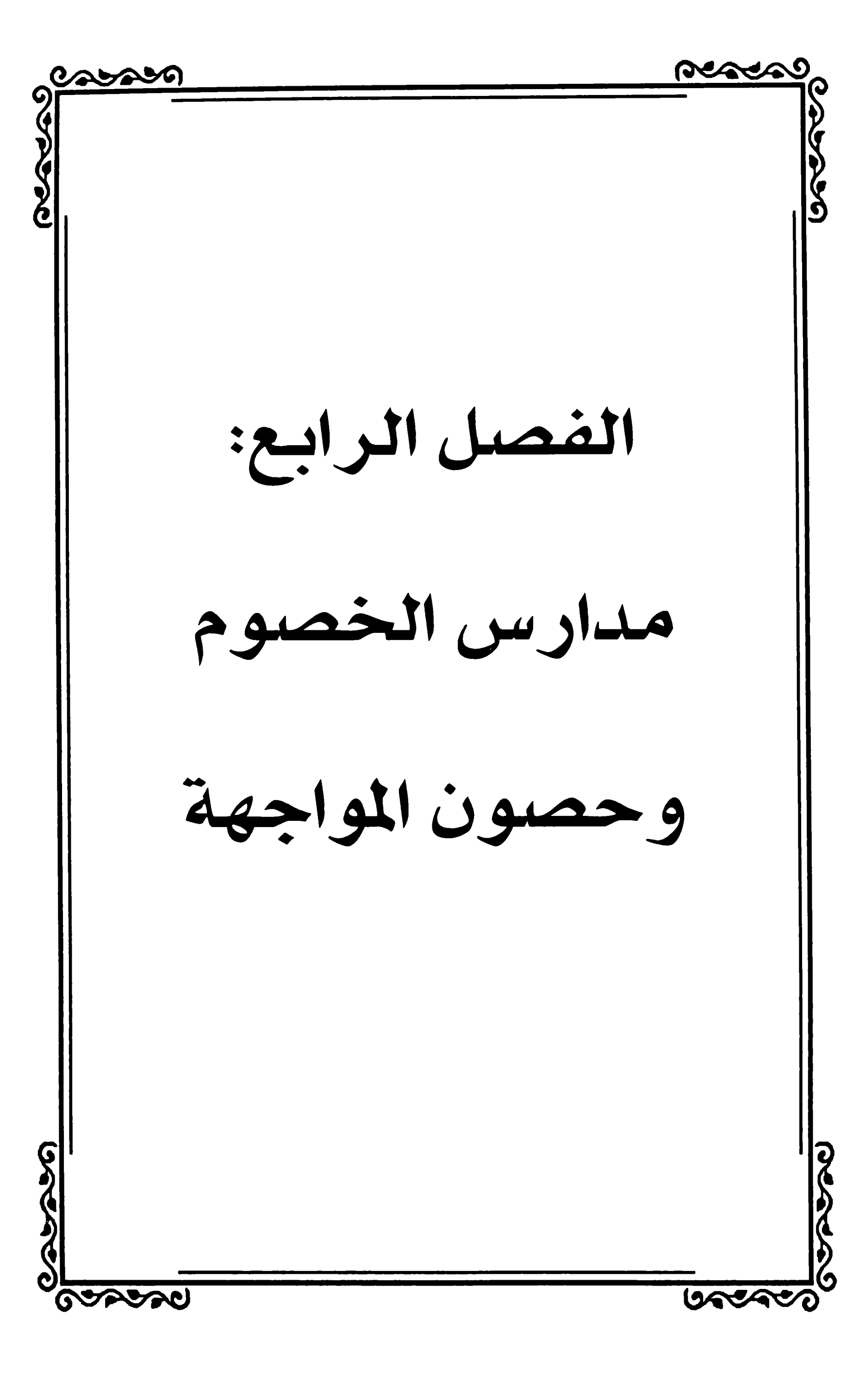
١ـ فرائد الأصول – الشيخ مرتضى الأنصاري ج ١ ص ٦٤.

والصورة الاولى لا فرد لها خارجا، ومع فرض وجوده يتوقف فيه الى حين لقاء المعصوم (صلوات الله عليه).

والصورة الثانية يقدم العقلي، لاحتمال الخطأ في المنقول الظني دون البديهي العقلي.

والصورة الثالثة يقدم النقلي، لاحتمال الخطأ في المعقول النظري دون المنقول القطعي.

والصورة الرابعة يكون التوقف اولى لاحتمال الخطأ في المفادين.



الفصل الرابع:

مدارس الخصوم

وحصون المواجهة

لما كان الدفاع عن الحق ركيزة مهمة من ركائز علم الكلام نجد ان وجود خصم ركن ضروري للدفاع، ولا يخفى ان لكل عصر شبهات و توجهات تتبناها وتحاول جعلها بحيث تظهر بمظهر يتقبله بعض الناس، فتتشكل على هذا الاساس توجهات «مدرسية» تنتظم فيها معالم الشبهات، وهي في عصرنا كثيرة، واهمها:

المدرسة السلفية

لاهل السنة من اتباع مدرسة الخلفاء مدارس عقائدية مختلفة خاض الشيعة الامامية معهم الكثير من السجالات والفوا في ردهم الكثير من الكتب والمؤلفات الضخمة ولئن كان الاشاعرة واهل الحديث من السنة هم الخصم اللدود للشيعة في حقبة من الزمن، فان الخصم الاشرس في هذا الزمان هم السلفية، الوهابية، وهم اتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي، وقد خاض اعلام الامامية ابتداءا من الشيخ جعفر كاشف الغطاء (قدس سره) وحتى اليوم مع الوهابية سجالات عقائدية جلّت وجه الحقيقة، وجعلته اكثر نصوعا، واسهل تناولا لطالب الحق، يبرهن لك على هذا موجة الاستبصار داخل

الوسط المخالف الذي تأثر بشكل كبير بافكار هؤلاء الوهابية، وانقيادهم للحقيقة بعد الاطلاع على بحوث اعلام التحقيق في مجال الامامة والحمد لله رب العالمين.

ونجد ان اساس الدعوة الوهابية قد اعتمد على مسائل التوحيد والشرك والصفات، فجاؤا فيها بالطامات، ونثروا المتناقضات، مستعرضين دينا قوامه ظواهر ايات لم يرجعوا في فهمها الى من استودعوا معارف القران، واحاديث تلقوها من افواه المنقلبين عن الاعقاب، فلا فهموا الكتاب و لا اصابوا السنة، ثم تتابعت القرون، وجاء من ينظم القواعد وفق ما وجده، فظن ان الحفاظ على فهم السابقين و احاديث المنقلبين هو الدين الحق وهو ما يمليه عليه واجب الحفاظ عليه.

و لا يخفى ان بعض شبه القوم تمتلك رصيدا كبيرا من السخف حتى ان لا مسوغ لان يتداولها اهل العلم الا خشية ان يغتر بها من لا دراية له فيضل عن سواء الطريق.

وقد عمد اصحاب هذه المدرسة الى البحث والتنقيب في كتب اصحابنا علهم يجدون فيها ما ينفعهم في التشنيع على الامامية ـ اعز الله تعالى دعوتهم وافلج حجتهم ـ وهذا من مستجدات هذه العصور التي تيسرت فيها الكتب وانتشرت المصادر، ومن هنا فلا بد للمتكلم الشيعي من الاحاطة بكلام اصحابنا وفق رؤية واضحة لئلا يؤخذ على حين غرة من الخصم.

فالمتكلم من الامامية ان احاط باخبار اصحابنا، ونظر في كتب الكلام، حصلت له قوة للبحث والجواب، والا جاءه اؤلئك المتحذلقون بالشبهة ومرت عليه كما رأينا ذلك على صفحات الانترنت وشاشات التلفاز وغيرها.

ومن حصون المواجهة امام هذه المدرسة[1] اعلام كبار ظهرت لهم مؤلفات جليلة، منهم:

١ـ العلامة المتتبع اية الله السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (قدس سره)، في سائر كتبه الجليلة التي اشهرها «المراجعات» و «النص والاجتهاد».

٢ـ العلامة المتتبع اية الله الشيخ عبد الحسين الاميني (قدس سره) واشهر كتبه «الغدير» الطائر الصيت.

٣ـ العلامة المتتبع اية الله المرجع المعاصر السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله) في كتابه «في رحاب العقيدة».

٤ـ العلامة المتتبع اية الله المرجع المعاصر الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني (دام ظله) وكتبه كثيرة منتشره.

٥ـ العلامة المتتبع اية الله السيد علي الميلاني (دامت بركاته) في كتبه الكثيرة المنتشرة.

١ـ لا اختصاص في بعض الكتب بكون هذه الشبه للسلفية لاشتراكهم مع غيرهم في الكثير من مؤآخذاتهم على الامامية.

٦ـ العلامة اية الله الشيخ جعفر السبحاني (حفظه الله) وكتبه كثيرة منتشره.

وغير هؤلاء من اعلام الامامية الماضين والمعاصرين.

المدرسة الفلسفية الصوفية

والمراد بهما ما جاءت به مدرسة ابن عربي التي تبناها في الاطار الشيعي ملا صدرا واتباعه و الحديث حولها ذو شجون لا نرغب في الافاضة فيه هنا، وقد تصدى له في النجف الاشرف وقم المقدسة ومشهد المقدسة بعض الاعلام المحققين (حفظهم الله تعالى) وهذا الاتجاه الفلسفي العرفاني يشكل خطرا داهما يؤدي ان استمر – لا سمح الله تعالى – الى تحريف الدين واعطاء صورة اخرى للدين الاسلامي غير ما بلغه النبي العظيم (صلى الله عليه واله) ودافع عنه اله الكرام (صلوات الله عليهم) ونحن هنا نسجل تحذيرنا منه بكل وضوح ونرجو من الاعلام الانتباه لهذا التيار الجارف الخطر ومن تغلغله في مفاصل العقيدة والتفسير والحديث فالحذر الحذر والله المستعان.

وقد تقدم ما يفي بايقاظ ذوي البصائر واؤلي الهمم ليسعوا سعيهم ويجدوا بكل الجد للوقوف امام هذه المدرسة، وعلى اهل العلم ان لا يغتروا باقوال الاخرين بل يزنوها يميزان العلم والدين، و لا يغرنهم دعوى «التعقل الفلسفي» او «التقوى العرفانية» فانها اوهام

وضلالات وخرافات، وليست الا واجهات تقنع فراغا، لم تبن على اساس متين من عقل او دين.

المدرسة التشكيكية

وهو التيار الذي تبناه بعض المحسوبين على الشيعة فشككوا في عقائدهم وطرحوا الشبه عليها وقد تصدى جمع من الاعلام المحققين لرد هذه الشبه والدعاوى الفارغة ولعل من اهم المتصدين هم السيد جعفر مرتضى العاملي والشيخ على الكوراني (حفظهما الله تعالى) وقد انحسرت هذه الافكار وانكسرت شوكتها بعد وضوح بطلانها وتصدي المراجع العظام لها.

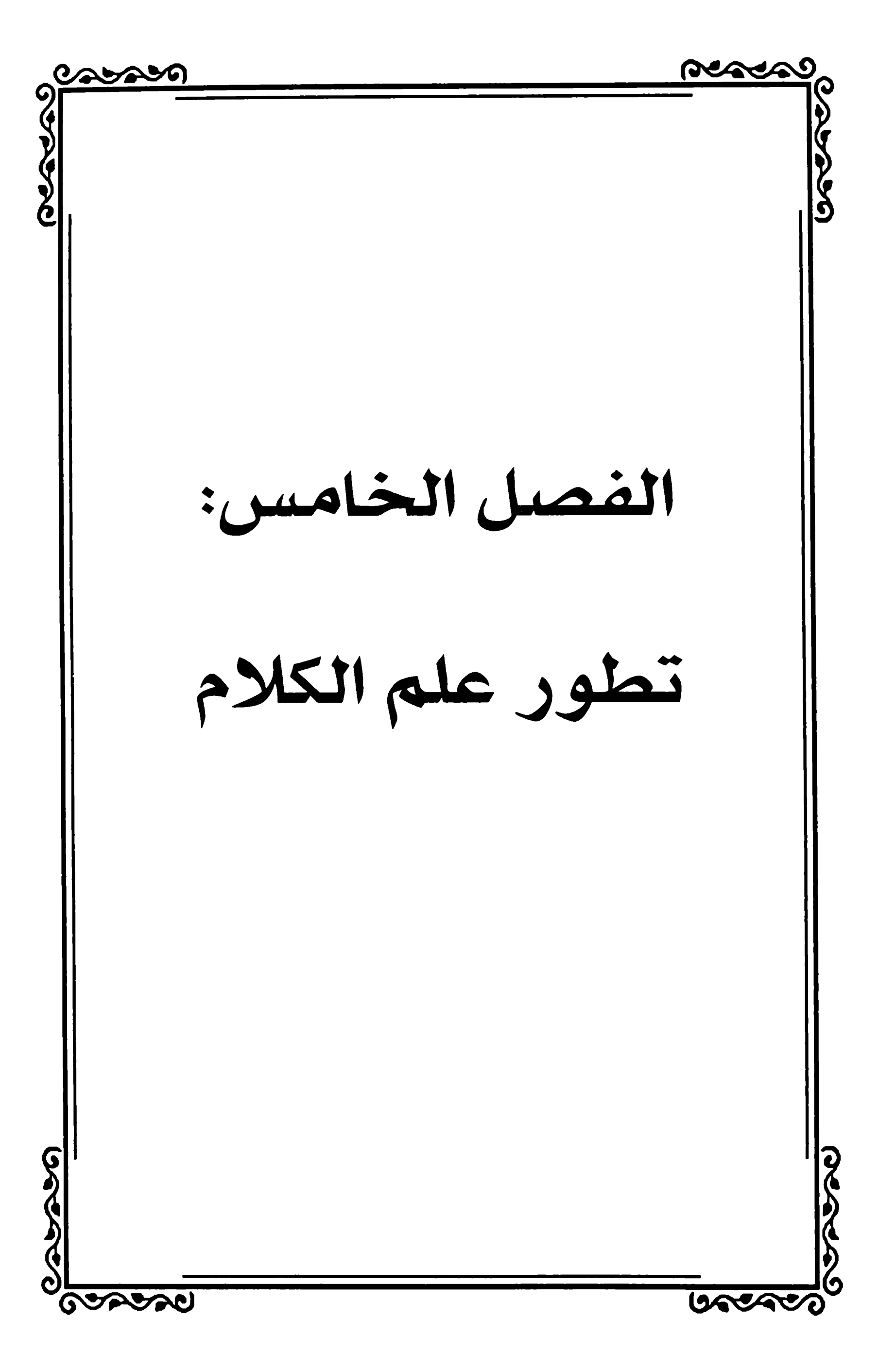
و لكن ما تزال تلك الثمار الفجة لتلك الشجرة الخبيثة تنتشر وتنطلق منها بين الفينة والاخرى روائح الجهل، وهي وان ساهم اعلام الشيعة (اعز الله تعالى دعوتهم) في كبح جماحها، وابعادها عن متناول العموم، لكنها بقيت كالنار في الرماد، فعلى الباحثين الانتباه لهم والرد على شبهاتهم في محلها.

المدرسة الحداثوية

وهو بناء فكري ظهر في القرن العشرين الميلادي تبناه ثلة من الشباب المسلم المثقف بالثقافة الحديثة المتأثر بمعطياتها دون تروٍ او مع عدم امتلاك القدرة على الفهم الصحيح للاسلام وفق المدرسة

الفقهية والعقائدية الموروثة فظنوا بها الانحراف لمغايرتها لما تعلقوا به من العلوم الحديثة القائمة على الظنون لا على القطعيات وهذا — فيما نرى — ناتج عن اهتزاز هذه الشخصيات مما ادى بهم الى تشويه الفكر الاسلامي انهيارا امام الثقافة الاخرى، حيث لم يلجئوا في نيل المعارف الى ركن وثيق.

واليوم تنتشر افكار اؤلئك القوم بين شبابنا في الجامعات، بل حتى الاساتذة في تلك الصروح العلمية ينهار بعضهم مستحسنا ومؤيدا لتلك الافكار، بل سمعنا ان هناك تخصصا في فكر بعض اعلام الحداثة، ولا ندري لمَ هذا الاهتمام الذي ينتج عن انتشار تلك البنى الفكرية رغم ضحالتها، والاعراض عن اهل العلم في الحوزات العلمية الشريفة، الا انهيار امام كل وافد بسبب ضعف الشخصيات وعدم ارتواها من عذب فرات من فكر ال البيت الاطهار (صلوات الله عليهم).



الفصل الخامس:

تطور علم الكلام

تقدم ان علم الكلام مر بادوار مختلفة وتناولته مناهج مختلفة أثرته من جهة كما أثّرت عليه من جهة اخرى، وهنا نود ان نبين شيئا من مجالات الثراء المعرفي الكلامي او التاثير السلبي وفق المناهج المختلفة لتتضح افضلية المنهج الصحيح في علم الكلام ودوره في التحقيق الكلامي.

ونُذكّر القارىء الكريم بأن المعرفة العقائدية ترتبط في اسسها بالعقل بما هو وسيلة للمعرفة وبالنقل بما هو وسيلة للتعريف.

فالعقل والنقل هما عينا المعرفة الكلامية و لا يمكن النظر الى حقيقة الدين الاسلامي دون التعرف على حدودهما واخذ المعارف بواسطتهما.

تطور[1] علم الكلام مناشئه وآثاره

واهمها تطور المجتمع الاسلامي الذي تغير من مجتمع عربي

١ـ ليس المراد بالتطور التطور المعرفي الايجابي بل المراد الاعم بمعنى يشمل الايجابي والسلبي حيث يشكل تراكما علميا.

صحراوي تتخلله بعض المدنيات[١] اليسيرة الى مجتمع اممي اجتمعت فيه ثقافات مختلفة، هذا من جهة، ومن جهة اخرى التغير السياسي الانحرافي المتمثل بالدول المتعاقبة بعد رحيل الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه واله) حيث حاولت تلك الكيانات الانحرافية ايجاد مسوغات لافعالها او طرح مسائل لاشغال الامة كما هو دأب الظالمين في كل زمان.

وقد توفرت الحكومتنان الاموية والعباسية على جهود كبيرة لترجمة الفلسفة اليونانية ـ مثلا ـ وفي ظل غياب المرجعية الدينية المعصومة او تحجيمها تأثرت تيارات مختلفة بهذه الفلسفة كالمعتزلة.

او وقفت في مواجهتها لكن لا على اساس رصين كالاشاعرة ومن هنا فبين التأثر بها او ضعف مواجهتها نجد ان التأثر بالفلسفة اخذ من الفكر الاسلامي جانبا كبيرا.

ونلخص مناشيء التطور الكلامي بثلاثة امور:

الاول: ابتعاد الامة عن المرجعية المعصومة.

الثاني: التدخل السياسي في ثقافة الامة.

الثالث: تأثر بعض التيارات بالوارد الثقافي الاممي الجديد.

١ـ البلاد العربية في بداية الدعوة الاسلامية كانت بلادا صحراوية شاسعة توجد فيها بعض المدن كمكة والطائف ويثرب واليمن لكنها مدن في اطوارها الاولى وليست ذات حضارة عمرانية او ثقافة مدنية كالتي تتمتع بها الامبراطوريات الكبرى انذاك ـ الفارسية والرومانية ـ

ومن هنا نشأت مسائل لا دور لها في المعرفة الايمانية الحقيقية التي هي الغاية من علم الكلام.

والكلام الشيعي حيث انه نشأ في الوسط الاسلامي العام فأثر وتأثر به نجد انه في معزل عن مؤثرات التطور السلبي في المدرسة السنية حيث ان الكلام الشيعي ارتبط بالائمة الهداة (صلوات الله عليهم) فتوفرت عنده المرجعية المعصومة.

كما افلت الكلام الشيعي من اسر السياسة اموية كانت او عباسية لوضوح الموقف الشيعي الرافض لكل مشروعية سوى المشروعية الاسلامية المتمثلة بالائمة المعصومين (صلوات الله عليهم).

ومن هنا كان العامل الثالث دون تاثير سلبي بل وفر للتشيع اجواء انتشار حيث وجدت الشعوب الجديدة في الاسلام الاصيل العقلانية الصحيحة والعلم الواعي فدخل الكثير من هؤلاء في التشيع.

ولكن بعد انتهاء عصر الحضور الشريف و بقاء الشيعة دون ائمتهم وحرمانهم من الرعاية المباشرة والتواصل المستمر نجد ان اجتهادات اعلام الشيعة في متابعة المسيرة العلمية لعلم الكلام كما انها انتجت قوة للكلام الشيعي فانها وقعت في اشكاليات كبيرة، فنجد ان هناك توجها الى التاثر بالفكر الاعتزالي باعتباره «خصما متعقلا» وهذا اجود ما يمكن تصوره للقيادات غير المعصومة بعد ان كان الخصم الاخر متعصبا لا يفقه ما يقول.

وقد تمثلت هذه المرحلة بالدور الثاني الذي تحدثنا عنه سابقا.

ومن اظهر مخلفاته عندنا اليوم هي مسالة قاعدة اللطف والتحسين والتقبيح العقليين حيث بنيت قسمات مسالة العدل على هاتين الفكرتين الاعتزاليتين.

ثم انتقلت القيادة العلمية الى الدور الثالث لنجد الفلسفة التي رفضها الدور الاول تدخل كمقدمة وتحضى بالقبول بعد ذلك الرفض.

لتضفي بمسحتها الجديدة رؤى جديدة انعكست على المناهج والنتائج لنجد دليل الامكان بديلا عن الحدوث مثلا.

وان كانت هذه المرحلة حاولت التمييز بين الفلسفة والكلام اجمالا لتأخذ ما ينفع المتكلم، وتحارب بشدة افكارا اخرى هي بالضد من العطاء الكلامي الاسلامي كالقول بقدم العالم او قاعدة الواحد، فاننا نجد الدور الرابع قد اتى بكل دخيل ليؤسس لانحراف كبير بل ليحقق اكبر عمل انحرافي في تاريخ الشيعة الامامية والله المستعان.

الفصل السادس:

اليات البحث العقائدي

وسبل النهوض به

تشكل العقيدة الركيزة الاساس في البناء الفكري والوجداني للانسان، ومنها ينطلق لبناء حياته والاستعداد لما بعدها، لذا فلا نزاع في اهمية البحث العقائدي، وفي كل عصر يحتاج الانسان الى من يوفر البيان العقدي الواضح، او يدافع عن متبنيات معينة، ومن هنا فاهمية هذا البحث العلمي كبيرة لا غنى عنها سواء في مجال بيان العقيدة او الدفاع عنها.

ولما كانت العلوم تمر بمرحلتين، المرحلة المدرسية، والمرحلة التحقيقية، فينبغي تفصيل الكلام في كل منهما حسب ما تقتضيه.

فنقول: المرحلة المدرسية هي ما يمكن وضع اليات لها لغرض توجيهها والاستفادة من الوقت والجهد لئلا يبذلا بشكل اعتباطي قد يعرقل الكثير مما يؤمل انجازه من مشاريع معرفية او عطاء للمهتمين بالشان العقائدي.

لذا نجد من المهم ان نطرح «رؤية» حول اليات البحث العقائدي، والسبيل المتاح للنهوض به من واقعنا المتخبط بين ركام كبير من الكتب والرؤى والمدارس المختلفة، والكلام ـ هنا ـ في محاور:

المحور الاول: لما كان الكلام في المجال المدرسي، وهو له في زماننا هذا مجالان، احدهما هو الحوزات العلمية، والاخر هو الجامعات، فلا بد من اخذ هذا التنوع بعين الاعتبار، ومن هنا نجد ان المنهج الملائم في الحوزة العلمية هو المنهج المتعارف مع اذكاء روح النقد والتحقيق، فكتابا «عقائد الامامية» للشيخ المظفر (قدس سره) و«النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر» للعلمين الحلي والسيوري (قدس سرهما) هما المنهج المقرر الذي استمر منهجا للدرس العقائدي، حيث توفر على مميزات:

١ـ يمثلان مرحلتين مهمتين من مراحل تطور علم الكلام، هما الدور الثالث و الدور الرابع[1].

٢ـ يمتلكان رصيدا كبيرا من خلال اقتناع الحوزة بدراستهما، الامر الذي يفتقده كل ما يطرح بديلا عنهما.

٣ـ صغر حجمهما بحيث لا يشكلان عبئا في تلقيهما، بل ولا في اتخاذهما محورا للتحقيق والتعليق.

لكن ينبغي الاشتغال بهذين الكتابين وشرحهما والتعليق على مطالبهما، اذ يحتوي الكتابان على اخطاء عقدية كبيرة، فهما من جهة يفيان بالجانب التعليمي لكن لا يفيان باظهار الحقيقة كاملة.

١ـ لا تتضح معالم الافكار التي جائت بها الحكمة المتعالية في عقائد الامامية الا بصورة ضئيلة وذلك لاختصار الكتاب.

تنبيه: لا نقف موقفا سلبيا امام التجديد الدراسي لكتب الكلام والعقيدة، بل نتمنى ان يتوجه اهل العلم من الاساتذة والطلاب وسائر المهتمين بالشأن العقائدي الى ترشيح كتب أُخرى لتحل محل تلك متجاوزة نقائصها والله الموفق للسداد.

اما الجامعات فتحتاج الى الاستعراض الواضح وفق اخر الرؤى العلمية، ويتم هذا اما من خلال المحاضرات التي يلقيها الاساتذة في تلك الجامعات، او من خلال الكتب التي تؤلف باسلوب واضح ومستوعب لاهم مباديء العلم، وباسلوب ميسر ومقنع.

المحور الثاني: الاستفادة من معطيات العلوم الاخرى الرائجة في الحوزات العلمية كعلم النحو، والمنطق، واصول الفقه، والفقه، والحديث، والتفسير، حيث تحتوي في بعض مفرداتها على فوائد مهمة تنمي البحث العقائدي، او توفر القدرة على فهم النص الديني بشكل صحيح.

علاقة علم الكلام بالعلوم المختلفة

لا ريب ان هناك تاثيرا لبعض العلوم بعضها في بعض، وهذا التاثير قد يكون ايجابيا وقد يكون سلبيا، وهنا نستعرض ـ بايجاز ـ تاثير العلوم على علم الكلام وتاثرها به.

علم المنطق

وهو علم الي يهتم ببيان السبل الكفيلة بتصحيح الاستدلال والجري وفق قوانين العقل التي اودعها الله تعالى في الانسان، وبواسطته يتنبه العقل الى الاستدلال الصحيح وتمييزه عن الاستدلال الخاطىء، ومن هنا تتضح الحاجة الكبيرة لعلم الكلام لهذا العلم، لكن لا على نحو الاغراق في المفاهيم والتدقيقات المنطقية المعمقة بل يجب التوفر على القوانين العامة الكفيلة بتصحيح الاستدلال واستكشاف الخطأ فيه.

علوم العربية

وهي مهمة جدا حيث تشكل محورا مهما من محاور فهم الدليل الكلامي «النصوص» لا سيما على المنهج المختار، ومن الواضح ان العلم باللغة العربية هو من اهم مرتكزات الاستنباط من النصوص سواءا كان الاستنباط فقهيا او عقائديا.

الفقه

لا ريب ان هناك بعض المسائل الفقهية شكلت مادة للنزاع والدفاع بين الفرق الاسلامية كمسالة الجمع بين الصلاتين او مسح

الارجل في الوضوء او الزواج المنقطع وغيرها، وهذه مسائل فقهية ينبغي للمتكلم ان يحيط بها وبسبل الاستدلال الفقهي فيها ثم يُعرِّج عليها من جهة كلامية ليكون على بينة من امره حين الدفاع عنها.

اصول الفقه

وهو علم الي الغاية منه التوصل الى قواعد تعين الفقيه في عملية الاستنباط لكنه توسع جدا بحيث صار ذا ابعاد علمية محضة او عقائدية في بعض مطالبه فنجد في علم الاصول فائدتين للمتكلم:

الاولى: في ما يعينه على فهم النصوص.

الثانية: بحث الاصوليون بعض المطالب الكلامية بشكل موسع مثل بحث الارادة والبداء وغيرها.

التفسير

هناك علاقة وثيقة بين علم الكلام والتفسير حيث تشكل ايات العقائد كما كبيرا جدا ومهما حيث يشكل القران الكلام المعصوم الذي وصلنا بالتواتر وصار محط انظار العلماء يستدل به كل على ما يذهب اليه او يرد استدلال خصمه.

الفلسفة

تقدم ان من اهل العلم من رأى ان الفلسفة هي المقدمة العقلية النافعة في علم الكلام باعتبار ان العقل امر مشترك بين الناس، وتقدم منا ان هذا وان كان صحيحا في كبراه لكن يجب النظر في معطيات الفلسفة لناخذ منها ما وافق العقل ونبه الى قوانينه دون تجميد العقل طاعة لدعاوى الاوائل منهم.

ولا نجد في الكثير من معطيات الفلسفة الا تراكما لاخطاء قدسها اصحابها حتى صادروا العقل الواضح البديهي فيجب الانتباه لذلك والله المستعان.

وقد كان الصراع قائما بين الفلسفة والكلام والفوارق واضحة لكن التوافق الجزئي بين الكلام والفلسفة المشائية على يد الخاجة الطوسي (رحمه الله) وكليا على يد ملا صدرا الغى خصوصية علم الكلام، لذا لا بد من الحذر حيث انهم اخذوا معطيات الفلسفة على انها معطى عقلي لا يمكن تأويله فأولوا النصوص الشرعية، فبدلا من اخذ الدين من المبلغين المعصومين (صلوات الله عليهم) اخذوا الدين

من دعوى التعقل والغوا النص، و لا نجد هذا الا التفافا ظاهرا على الدين والغاءا لمعطياته[١].

المحور الثالث: الاهتمام بدراسة العقائد وفق الرؤية الاسلامية الاصيلة من خلال اعتماد البيانات المعصومية دون تحميلها رؤى اخرى مباينة لها، ومن هنا تشكل كتب الحديث كتوحيد الصدوق ومحاسن البرقي واصول الكافي وغيرها مصادر مهمة لعلم العقيدة، و لا ننسى الجهود الكبرى التي نهض بها المحقق الكبير العلامة المجلسي (قدس سره) في موسوعتيه الجليلتين «مرآة العقول» و «بحار الانوار».

المحور الرابع: من مصادر علم الكلام وفق المناهج المختلفه

١ـ بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار (قدس سره).

٢ـ كامل الزيارات للشيخ ابن قولويه (قدس سره).

٣ـ الكافي للشيخ الكليني (قدس سره).

٤ـ ٩ التوحيد وعيون اخبار الرضا (عليه السلام) والخصال وكتاب النبوة و كمال الدين وتمام النعمة، واعتقادات الامامية وغيرها من كتب الشخ الصدوق (قدس سره).

١٠ـ الغيبة للشيخ النعماني (قدس سره).

١ـ لا ننكر امكان تأويل بعض الادلة النقلية لكن عندما تصادم العقل البديهي فقط او النص الديني القطعي اما فيما سوى ذلك فلا سبيل الى التأويل.

١١ـ ١٢ـ تصحيح اعتقادات الصدوق، اوائل المقالات، وغيرها من كتب الشيخ المفيد (قدس سره).

١٣ـ ١٥ـ الذخيرة و الشافي والتحصيل وغيرها من كتب السيد المرتضى.

١٦ـ ١٩ـ تلخيص الشافي و الغيبة و التمهيد والاقتصاد وغيرها من كتب شيخ الطائفة الطوسي (قدس سره).

٢٠ ـ كنز الفوائد وغيره من كتب الشيخ الكراجكي (قدس سره).

٢١ـ مقدمة تقريب المعارف لابي الصلاح الحلبي (قدس سره).

٢٢ـ التعليق في علم الكلام لقطب الدين ابي جعفر محمد بن الحسن المقري النيسابوري.

٢٣ـ المسلك في اصول الدين والرسالة الماتعية للمحقق الحلي(قدس سره) صاحب الشرائع.

٢٤ـ ٢٧ ـ التجريد وواجب الاعتقاد وقواعد العقائد ونقد المحصل وغيرها من كتب المحقق الطوسي(قدس سره)

٢٨ـ ٣٧ـ كشف المراد في شرح التجريد وكشف الفوائد في شرح قواعد العقائد ومعارج الفهم في شرح النظم ونهج المسترشدين وكشف الحق ومناهج اليقين والرسالة السعدية ونهاية الاقدام وشرح الياقوت وتسليك النفس الى حضيرة القدس وغيرها من كتب العلامة الحلي (قدس سره).

٣٩ـ ٤٢ـ شرح الباب الحادي عشر واللوامع الالهية والانوار الجلالية وارشاد الطالبين الى نهج المسترشدين وغيرها من كتب الشيخ الفاضل المقداد السيوري (قدس سره).

٤٣ـ ٤٧ـ عُصرة المنجود والباب المفتوح الى ما قيل في النفس والروح والصراط المستقيم والرسالة اليونسية والكلمات النافعات للشيخ زين الدين النباطي البياضي العاملي (قدس سره)

٤٨ـ ٤٩ـ المقالة التكليفية والباقيات الصالحات للشهيد الاول (قدس سره).

٥٠ـ ٥١ـ مختصر بصائر الدرجات وتفضيل الائمة وغيرها للشيخ الحسن بن سليمان العاملي الحلي(قدس سره).

٥٢ـ كشف البراهين في شرح رسالة زاد المسافرين وغيره من كتب ابن ابي جمهور الاحسائي (قدس سره).

٥٣ـ الحاشية على الهيات الشرح الجديد على التجريد للمولى الشيخ احمد الاردبيلي (قدس سره).

٥٤ـ مطارح النظر في شرح الباب الحادي عشر للشيخ الفقيه المتكلم صفي الدين الطريحي (قدس سره).

٥٥ـ ٥٦ـ بحار الانوار ومرآة العقول وغيرها من كتب العلامة المحقق المجلسي (قدس سره).

٥٧ـ ٥٩ ـ الفصول المهمة في اصول الائمة والايقاظ من الهجعة واثباة الهدات وغيرها للحر العاملي (قدس سره).

٦٠ـ البراهين القاطعة في شرح التجريد للشيخ محمد جعفر الاستربادي شريعتمدار (قدس سره).

٦١ـ ٦٢ـ حق اليقين ومصابيح الانوار وغيرها للسيد عبد الله شبر (قدس سره).

٦٣ـ ٦٤ـ كتاب التوحيد والولاية المقتل للشيخ محمد هادي الطهراني(قدس سره).

٦٥ ـ التوحيد الفائق في معرفة الخالق السيد علي البهبهاني (قدس سره).

٦٦ ـ ٦٧ـ المراجعات والنص والاجتهاد وسائر كتب السيد المتتبع عبد الحسين شرف الدين (قدس سره).

٦٨ ـ الهدى الى دين المصطفى وغيره من كتب كتب الشيخ المحقق محمد جواد البلاغي (قدس سره).

٦٩ ـ الغدير للعلامة الاميني (قدس سره).

٧٠ ـ دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر (قدس سره)[1].

١ـ لهذا الكتاب طبعتان احداهما في ثلاثة اجزاء والاخرى صدر منها الى حين كتابة هذه السطور سبعة اجزاء وهي محققة من قبل العالم الجليل المتكلم الكبير السيد علي الميلاني دامت بركاته، ويمتلك هذا الكتاب من المؤهلات العلمية والفنية ما يؤهله ليكون محورا للدراسات المقارنة ولا يستغني من يريد دخول عالم الحوار عن مطالعته او مباحثته ولمزيد اهميته نبهت هنا اليه فرحم الله العلامتين الحلي والمظفر بما اسدياه للشيعة من خدمة علمية كبيرة وحفظ الله السيد المجاهد الميلاني بما يسر من مطالعته والاستفادة منه.

٧١ ـ ٧٢ ـ احقاق الحق للتستري وملحقاته للسيد المرعشي (قدس سرهما).

٧٣ ـ صراط الحق للشيخ آصف محسني (حفظه الله).

٧٤ ـ ٧٥ ـ في رحاب العقيدة للسيد الحكيم (دام ظله) واصول العقيدة له ايضا.

٧٦ ـ ٧٩ ـ الفوائد النبوية وشرح الخطبة والاشكالية المنهجية (بحث حول مسالة المعاد) والسنخية والعينية وغيرها من كتب العلامة المتتبع السيد جعفر سيدان (دامت بركاته).

٨٠ ـ هداية الامة الى معارف الائمة (عليهم السلام) للعلامة الشيخ محمد جواد الخراساني (قدس سره).

٨١ ـ ٨٣ ـ سد المفر على القائل بالقدر وسد المفر على منكر عالم الذر والبداء للشيخ محمد باقر علم الهدى (قدس سره).

٨٤ ـ ٨٥ ـ الالهيات ومختصرها وغيرها للعلامة الشيخ جعفر السبحاني (حفظه الله).

٨٦ ـ ٨٧ ـ معرفة الله بالله لا بالاوهام، واصول المعارف الالهية وغيرها للعلامة المحقق الشيخ حسن الميلاني (دامت بركاته).

٨٨ ـ ٨٩ ـ تنزيه المعبود في الرد على وحدة الوجود، ووجود العالم بعد العدم للسيد قاسم علي احمدي (دامت بركاته).

٩٠ـ علي امام البررة[١] وغيرها للعلامة المتتبع السيد محمد مهدي الخرسان (دامت بركاته).

٩١ـ ٩٢ـ اصول المعرفة، والرؤية الاسلامية حول التوحيد الالهي للشيخ ماجد الكاظمي (دامت بركاته).

٩٣ـ ٩٦ـ مصباح العقيدة و معالم العقيدة واضواء على النافع يوم الحشر واية الولاية وغيرها للشيخ حيدر الوكيل.

١ـ وهو شرح لارجوزة في الامامة نظمها سيد الطائفة ومرجعها الراحل السيد ابو القاسم الخوئي (قدس سره)، ومن الجدير بالذكر ان للمرحوم السيد الخوئي ابحاث عقائدية هامة تعرض فيها لبيان الحق والدفاع عنه برد شبه الفلاسفة ومنها بحثه في الارادة.

الخاتمة

اهمية الوازع الديني والدافع الايماني في السلوك العلمي

هناك محوران ينبغي الانتباه لهما والاهتمام بهما:

المحور الاول: البدع، فقد ورد «عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كلام الله، يقلد فيها رجال رجالا، ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى»[1].

المحور الثاني: الارتباط الفكري بال البيت (صلوات الله عليهم) ويتم ذلك عبر امرين:

١ـ المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقى ج ١ ص ٢٠٨ ، الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٤.

الاول: الاخذ عنهم، فقد ورد:

١ـ «عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لكميل ابن زياد قال، يا كميل! لا غزو إلا مع إمام عادل، ولا نفل إلا من إمام فاضل، يا كميل! هي نبوة ورسالة وامامة، وليس بعد ذلك إلا موالين متبعين، أو مبتدعين، إنما يتقبل الله من المتقين، يا كميل! لا تأخذ إلا عنا تكن منا. الحديث»[(١)].

٢ـ «عن فضيل بن يسار قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول كلما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»[(٢)].

٣ـ «عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): إياك والرئاسة وإياك أن تطأ أعقاب الرجال، قال: قلت: جعلت فداك أما الرئاسة فقد عرفتها وأما أن أطأ أعقاب الرجال فما ثلثا ما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال فقال لي: ليس حيث تذهب، إياك أن تنصب رجلا دون الحجة، فتصدقه في كل ما قال»[(٣)].

٤- «عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها؟ فقال: لا،

١ـ وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٠.

٢ـ بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ٥٣١.

٣ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ٢ ص ٢٩٨.

أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل»[١].

الثاني: الرد اليهم فقد ورد:

١ـ عن محمد بن الطيار قال قال لي أبو جعفر عليه السلام: تخاصم الناس؟ - قلت: نعم، قال: ولا يسألونك عن شئ إلا قلت فيه شيئا؟ - قلت: نعم، قال: فأين باب الرد إذا[٢]؟!.

٢ـ «عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: بما أوحد الله؟ فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر»[٣].

وبذلك يتحصن الاطار العقائدي والمعارفي بنسبة كبيرة ولا يبقى مجال لنفوذ الفكر البشري المتطاول للنيل من المعارف الالهية.

١ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٦.

٢ـ المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقى ج ١ ص ٢١٣.

٣ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٦.

المصادر

١ـ القرآن الكريم.
٢ـ اختيار معرفة الرجال ـ الشيخ الطوسي.
٣ـ الاسفار.
٤ـ بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي.
٥ـ البراهين القاطعة.
٦ـ تصحيح اعتقادات الإمامية ـ الشيخ المفيد.
٧ـ تكملة أمل الآمل ـ السيد حسن الصدر.
٨ـ التوحيد للشيخ الصدوق.
٩ـ رجال النجاشي.
١٠ـ شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني.
١١ـ شوارق الالهام للاهيجي.
١٢ـ فرائد الأصول ـ الشيخ مرتضى الأنصاري.
١٣ـ الكافي للكليني.
١٤ـ كتاب الطهارة ـ السيد الخوئي.
١٥ـ مستدرك سفينة البحار ـ الشيخ علي النمازي.

١٦ـ مصباح الفقيه آقا رضا الهمداني.

١٧ـ معجم طبقات المتكلمين للسبحاني.

١٨ـ المواقف.

الفهرس